# تعليقات على

# رد على كتابَي: فضائح المشركين والملة الغائبة

محمد سلامي

msellami5@gmail.com / www.bayanislami.com

باسم الله الرحمن الرحيم

(التعليقات باللون الأحمر)

المنهج الصحيح في الأحكام
للرد علي الشيخ محمد سلامي
في كتابي
فضائح المشركين
والملة الغائبة
(قل اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ )الزمر (46)اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلي صراط مستقيم
لقد قرأت كتابين للشيخ محمد سلامي فوجدت فيهما كثير من الحق الذي يغيب عن الناس ولكن شاءت حكمة الله أن البشر لابد أن يكون به نقص وعيب حتي لا يكون كلامه مثل كلام الله سبحانه وتعالي (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82) [النساء/82]
ولكن من كان عيبه أقل من صلاحه ففيه خير إن شاء الله وإني وجدت خيرا كثيرا في الشيخ محمد سلامي ويزداد أكثر لو قرأ ردي هذا وتمعن فيه وليس عيب أن يرجع البشر عن خطأ وقع فيه لكن العيب أن يتمادي الإنسان في الخطأ حتي يموت ولم ينته منه ولعل أكثر الخطأ يمكن أن يكون مجرد كلام مجمل يحتاج إلي تفسير اللهم أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا

وبعد

أولا يقول الشيخ محمد سلامي
في كتاب فضائح المشركين
– (فالبلاد الإشتراكية أو الديمقراطية أو غيرها تسمى كذلك للنظام الحاكم فيها، وإن كانت أغلبية الشعب لا تعتنقها، فإسلام الأفراد والجماعات أو كفرهم لا علاقة له بحكم الدار والدولة إن لم يتبعوها. )
الرد
هذا كلام يحتاج إلي تفصيل حيث أن ديار الكفر أهلها كفار ما لم يظهر من أحدهم خلاف قومه فمستور الحال واللقيط والصغير الذي ليس له أحد يكفله والمجنون حكمه الكفر في الدنيا تبعا لداره
وكذلك الحال في ديار الإسلام أهلها مسلمون ما لم يظهر من أحدهم خلاف قومه فمستور الحال واللقيط والصغير الذي ليس له أحد يكفله والمجنون حكمه الإسلام في الدنيا تبعا لداره وهذا هو ما يسميه العلماء حكم التبعية وللمزيد أنظر كتاب الشيخ حلمي هاشم أحكام الدار والديار من موقعه عل هذا الرابط
www.al-islam.110mb.com
وبحث للكاتب بإسم أحكام الديار من مدونه بإسم التوحيد الصحيح والرد علي المشركين علي هذا الرابط
http://www.google.com.eg/gwt/n?u=http:%3a%2f%2fahmdala.maktoobblog.com%2f
أو
http://ahmdala.maktoobblog.com/
أو أن تكتب في البحث علي جوجل كلمة التوحيدالصحيح بدون مسافات

إن الخروج عن موضوع الكلام إلى موضوع آخر لا يعتبر ردا على الموضوع الأول ولا حتى تفصيلا لمجمله.
إنما كنت أتكلم هنا عن مناط التفريق بين دار الإسلام ودار الكفر، ورددت على من يرى أن الدار دار إسلام لوجود المسلمين حتى وإن كان يحكمهم الكفار، فقلت أن المعتبر هو النظام الذي يحكمها.
ولم أتطرق إلى مسألة الحكم على الناس، فمن المعلوم أننا إذا أتينا على قوم نحكم على الفرد منهم بحكم المجموع إلى أن يثبت عندنا عنه خلاف ذلك.

يقول الشيخ محمد سلامي

(إن المسلمين يجتهدون فيما لم يحكم فيه الله وفوضه إليهم منطلقين من شرع الله، جاعلين إياه نصب أعينهم، وكل حكم يخالفه يؤمنون بأنه باطل ويبرأون منه.

فلا بأس أن يشرع الناس لتنظيم حياتهم ولا حرج في ذلك، بل هو الواجب الحتمي لتنظيم علاقات الناس، لكن إذا أتاهم شرع من الله وتركوه إلى ما كانوا عليه أو ما أحدثوه من بعد كان ذلك كفرا بشرع الله وإيمانا بالطاغوت) وهذا الكلام حق ويخالف قوله

ثانيا يقول الشيخ محمد سلامي

في كتاب فضائح المشركين

– (أما إذا كانت الدولة مسلمة تتبع شرع الله أصلا، وعصى حكامها الله، وأنشأوا بنوك الربا ودور الخمر، وأعطوا التصاريح لإنشائها، وأخذوا عليها المكوس، فإنهم رغم ذلك كله لا يكفرون لأنهم ينطلقون من أنها حرام ابتداء، فشرعهم هو شرع الله لم يبطلوه بشرع آخر، وإن عصوا الله، فالتشريع ليس مجرد أمر أو نهي، وإنما يمنح الشرعية لما أمر به أو نهى عنه أو أباحه.

عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: (كان عبد الله بن أَبَيّ يقول لجارية له: اذهبي فأبغينا شيئا، فأنزل الله: [وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا][النور: 33] [أخرجه مسلم والبزار والطبراني بسند صحيح]، وهذا منه معصية وليس عملا بشرع غير الله.

إن الناس يعرفون إباحة الأشياء من عدم إصدار قانون يمنعها، لأن الأصل في الأشياء الإباحة، ومنها ما يسمى بالثغرات القانونية التي يغفلون عنها، فالتصرف في إطارها مشروع قانونا، والشيء القانوني هو الحلال المباح. )

الـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرد

هذا كلام يناقض بعضه بعضا يقول (إن الناس يعرفون إباحة الأشياء من عدم إصدار قانون يمنعها) أي أن الناس يعلمون أن الحرام مباح بسبب عدم إصدار قانون يمنعها وهذا منطق لكنه يقول (أما إذا كانت الدولة مسلمة تتبع شرع الله أصلا، وعصى حكامها الله، وأنشأوا بنوك الربا ودور الخمر، وأعطوا التصاريح لإنشائها، وأخذوا عليها المكوس، فإنهم رغم ذلك كله لا يكفرون لأنهم ينطلقون من أنها حرام ابتداء، فشرعهم هو شرع الله لم يبطلوه بشرع آخر، وإن عصوا الله، فالتشريع ليس مجرد أمر أو نهي، وإنما يمنح الشرعية لما أمر به أو نهى عنه أو أباحه.)

أي أن تشريع قانون في دولة إسلامية لإنشاء بنوك الربا ودور الخمر، وأعطوا التصاريح لإنشائها، وأخذوا عليها المكوس لا يعني إباحتها وهذا تناقض واضح فالتصاريح دلالة استحلال وهي تشريع غير تشريع الله المشرع شريك مع الله وإن اعتقد في نفسه أنها حرام فلا عبره باعتقاده(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) فكثير من المشرعين في البرلمانات الكفريه يشرعون بتحليل الحرام مع علمهم أنها حرام فالتشريع الذي يخالف شرع الله شرك صدر من مسلم أو من مشرك والذي يطيعه في ذلك علي أن هذا التشريع مستند يبيح له الحرام مشرك (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون )أما الذي يفعل هذا الحرام وهو يعلم أنه حرام ويعتقد حرمته ولكن لا يستند إلي تشريع أخر فهذا لا يكفر بل هو مسلم عاصي فهناك فرق بين من يفعل المعصية وهو يعتقد حرمتها وإنما يفعلها لشهوة وبين من يفعل المعصية وهو مستند إلي تصريح فالتصريح دلالة استحلال فهل لو أن دولة إسلامية أعطت تصريح بالزنا لا يكون هذا شرك أما إذا فعله الناس وهم يعتقدون حرمته غير مستندين إلي هذا التصريح لا يكونوا مستحلين فالفعل ليس دلالة استحلال لكن التشريع أو التصريح دلالة استحلال وينطبق عليه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباب من دون الله)

فالتصريح تشريع والتشريع دين ومن اتبع دينا آخر فهو كافر بدين الله، وإن لم يعتقد أنه حلال أو أنه هو دين الله، هذا أمر ظاهر

الأمر بالمعصية أو إجبار الغير عليها أو الإذن فيها كل هذا معصية وليس كفرا، وسواء كان الأمر شفهيا أو كتابيا لا فرق بينهما، وتقديم رخصة لشخص لفتح مخمرة ليس تشريعا من دون الله، وإنما هو إذنٌ له فقط .

وما كفر به المشرعون اليوم هو أنهم لا يعتبرون الخمر في شرعهم محرمة ابتداء، إنما هي مباحة أصلا عندهم لعدم وجود نص قانوني يحرمها كالمخدرات، وتحريم شرع الله للخمر لا اعتبار له عندهم، فقد قرروا ابتداء أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص مسبق من قانونهم، وماداموا لم يحرموا الخمر فهي مباحة عندهم

قانونيا، وعندما يعطون الرخص للناس لبيعها فهم يتصرفون في إطار القانون، وليست الرخصة أو البيع أو الشرب هو الكفر، وإنما الكفر هو الإستحلال، وإلا لكان الإكراه على البغاء لأجل المال دلالة استحلال.
هذا حال الدولة التي نراها اليوم، أما أنا فكنت أتحدث عن دولة مسلمة أصلا، لا يصح أن نتصور حالها كنظيرتها، ولعل غيابها هو الذي جعل هذه الحالة المذكورة غامضة، فشرعها ودستورها الأول والوحيد هو شرع الله، فالخمر محرمة عندها ابتداء، فإذا جاء أحد المسؤولين وأعطى رخصة لأحد لبيع الخمر فهذا عمل غير قانوني وغير شرعي في الدولة المسلمة بخلاف الدولة الكافرة، وهذا هو الفرق بينهما، وقد وجد في تاريخ الحكام المسلمين أشياء كهذه وأنكرها المسلمون على أساس أنها ذنوب لا كفرا بواحا.
أما إذا شرّعت الدولة المسلمة شرعا يبيح الخمر ويحُل محل حكم الله فيها عندها يقع الكفر، ولا يقع الكفر بمجرد الترخيص وإن كان الإثم عظيما، فالدولة المسلمة لديها شرع ولا يلغى هذا الشرع بمجرد مخالفة عملية لبعض تفاصيله وإنما يلغى بتشريع آخر يحل محله.

ثالثايقول محمد سلامي في كتاب فضائح المشركين
– (لقد عرّف العلماء الشرك الأكبر بأنه كل اعتقاد أو قول أو فعل مأمور به شرعا، فصرفه لله وحده توحيد وإيمان، وصرفه لغير الله شرك وكفر أكبر، أما الشرك الأصغر فهو كل إرادة أو قول أو فعل لا يبلغ مرتبة العبادة لغير الله، ولكنه ذريعة إلى الشرك الأكبر، والشرك الأصغر ما هو إلا استثناء من الأصل الذي هو الشرك الأكبر.) ا هـ

الرد
ولو أنه قال (لقد عرّف العلماء أن كل اعتقاد أو قول أو فعل مأمور به شرعا، صرفه لله وحده توحيد وإيمان، وصرفه لغير الله شرك وكفر أكبر، أما الشرك الأصغر فهو كل إرادة أو قول أو فعل لا يبلغ مرتبة العبادة لغير الله، ولكنه ذريعة إلى الشرك الأكبر، والشرك الأصغر ما هو إلا استثناء من الأصل الذي هو الشرك الأكبر) لكان المعنى أوضح

رابعايقول الشيخ محمد سلامي في كتاب فضائح المشركين
–(يقول حمد بن عتيق في التعليق على "فتح المجيد" (396): (ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها).
لكن إخوانه في العقيدة جعلوا مخالفة أحكام الشرع كالتشريع من دون الله، ولذلك قالوا: هم يصلون ويصومون ويعتقدون أن شرع الله كامل شامل، ويتناسون أنهم لا يكفرون بدين الطاغوت، وكما يتبعون شرع الله أحيانا يتبعون شرع الطواغيت دون حرج، ودون شعور بالكفر.
ثم تأمل هذين القولين لشيخ واحد هو محمد بن إبراهيم آل الشيخ في "مجموع الفتاوى" (280/12): (وأما الذي قيل فيه أنه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها، أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كافر، وإن قالوا: أخطأنا وحكم الشرع أعدل، فهذا كفر ناقل عن الملة).
لكنه يقول أيضا (80/1): (من تحكيم شريعته والتقيد بها، ونبذ ما خالفها من القوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي من حكم بها أو حاكم إليها معتقدا صحة ذلك وجوازه فهو كافر الكفر الناقل عن الملة، وإن فعل ذلك بدون اعتقاد ذلك وجوازه فهو كافر الكفر العملي الذي لا ينقل عن الملة).
ويقول الشيخ محمد سلامي عن الشيخ سيد قطب
(لكن إن كان سيد قطب قد حصر الشرك الأكبر فيما أسماه بـــ "الحاكمية"، فهل هذا عذر لغيره في حصره في عبادة القبور؟! ألا ترون أنكم جميعا تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟! )
كما يقول الشيخ محمد سلامي في كتاب الملة الغائبة
(أنظر - مثلا « -منهاج السنة » لابن تيمية (*131/5*) و « تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام » لابن باز (*37*).
لابن تيمية ومحمّد بن عبد الوهاب[1] وسيّد قطب[2]، وأمثالهم قديما وحديثا بعد انتشار الكفر في الأمّة.
وهم من أكثر القوم اهتماما بالكفر الذي يأتيه الذين قالوا : إنا مسلمون وتكفيرهم، غير أن كلامهم لا يعد إلا كلاما فلسفيا عامّا لا صلة له بالواقع، ولا علاقة بينه وبين عملهم، فهم في واقع الأمر يعتبرون النّاس مسلمين، رغم اعترافهم بزوال أصل الإسلام عنهم، ويحيون معهم حياة المسلم بين المسلمين،

ويظهر تناقضهم هذا في حياتهم العملية وحتى في كتبهم التي وصلت إلينا، ولو كانوا يعملون بما يقولون لما سمّوا بالأئمة والمجدّدين.
وقد نسمع أو نقرأ لأحدهم فنخاله مسلما وهو يقرّر أمورا من أصل الإسلام نظريا لا يعمل بها، وما كلامه إلا قول عابر، وموقف مؤقت بحالته يزول بزوالها، لا عقيدة ثابتة يترجمها العمل[1]، والفرق بين الكلام النظري والواقع العملي كبير وكبير جدا.
فيجب أن نعيش بهذا الدين ونعمل به لكي يكون هو ديننا، لا نقول به فقط، فلا يمكن أن نكون مسلمين وتصرّفاتنا تشهد بكفرنا، ولا أثر للإسلام بيننا، أو نرجئ العمل بما نعتقده إلى أجل مسمّى أو غير مسمّى، فدين الله عمليّ صريح ولا يعتمد على السباحة في الخيال، فكما نعمل بتوحيد الله بالعبادة نعمل بتكفير الكافرين، ونكون صرحاء فيه كصراحتنا في ترك الشرك والكفر به.
وأي قول نقوله أو اعتقاد نعتقده لا نعدّ من أهله إذا لم نترجمه إلى عمل وواقع ملموس، فالقوم قومنا المحيطون بنا، وليسوا أناسا خياليين لا يعرف لهم وجود، وتكفير الكافرين ليس من الغيبيات حتى يلزمنا السكوت

---

1. أنظر - مثلا «- الدرر السنية في الأجوبة النجدية » جمع عبد الرحمن بن قاسم (*1/70*).
2. أنظر- مثلا «- المستقبل لهذا الدين » و « لماذا أعدموني ؟ » لسيد قطب.
3. أنظر - مثلا «- من هدي المدرسة السلفية » لعبد الله حجاج (المقدمة).

عنه، بل إنه ممّا لا يصحّ لنا إسلام - بتاتا - دون وجوده.
إن مواجهة شرك القبور الذي ظهر وسط الأمة احتواها - منذ البداية - العلماء الذين لا يكفرون الجاهلين من فاعليه، فلم يضعوه في الجهة المقابلة المضادّة للإسلام مباشرة، بل رأوه انحرافا داخل دائرة الإسلام، لا يخرج المسلم من الإسلام كعبادة الأصنام، وكأني بهم لو نحت الناس تماثيل وعبدوها لكفروهم، وإن قالوا كلمة التوحيد. ) ا هـــ
الرد
كلام العلماء فيه المحكم والمتشابه والمجمل والمفسر ولا ينبغي للمسلم أن يناقض كلام العلماء بعضه ببعض وعنده متسع لتأويله أو تفسيره ليوافق الحق وخاصة العلماء الربانين الذين علموا البشرية التوحيد الصحيح مثل علماء الدعوة النجدية مثل حمد بن عتيق ومحمد بن عبد الوهاب وأولاده ومحمد بن إبراهيم وبن تيمية وبن القيم وسيد قطب وكل من تكفره مع أنه نفس معتقدك في الشرك والكفر والإسلام والإيمان وهذا الكلام الذي تنقله للشيخ محمد بن إبراهيم وهو نفس ما ينقله المشركون ليقرروا إن حكم الطواغيت اليوم كفر دون كفر وأنت تقول إن محمد بن إبراهيم وغير من العلماء النجديين مشركون فمن أجل أن ترد علي المشركين عباد الطواغيت جعلت الموحدون العلماء الربانيون مشركون وهذا خطأ فأنت الذي قلت(لا يصح رد الحق بسبب ما علق به من باطل، والتجني على الحق بسبب الباطل ظلم،)وما أجملها من كلمة لو طبقتها علي كلام علماء الدعوة النجدية السابقين وليس الحاليين لان المعاصرين نعلم عنهم علم يقين ولا لبس في كلامهم أنهم لا يكفرون المشركين عباد الطواغيت فالتحاكم إلي المحاكم الوضعية والمحاكم الدولية ومجلس الأمن كل هذا عندهم ليس شرك أكبر بل الحاذق منهم من يجعله كفر أصغر مستند غلي كلام بن عباس كفر دون كفر والدول الذين يعيشون فيها تتحاكم في مشاكلها مع جيرانها إلي مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية وهم يقولون إنهم مع ذلك مسلمون ولو شذ منهم احد فقال إن هذا كفر اكبر لكنه لا يكفر من يقول أنه ليس كفر بسبب اعتقادهم أن هذه المسائل يجوز فيها الاختلاف وهذا من الخطأ البين فمسالة إفراد الله بالحكم وعدم التحاكم لغيره مسالة توحيد وشرك المخالف فيها مشرك وهو ما قاله الشنقيطي في تفسير قوله تعالي (ولا يشرك في حكمه أحدا)أي لا تشرك يا نبي الله. أو لا تشرك أيها المخاطب أحداً في حكم الله جل وعلا، بل أخلص الحكم لله من شوائب شرك غيره في الحكم.ا هـــ وقال أيضا

نتفق على أن الإسلام قول وعمل، وليس كتبا تؤلف لتضيف رصيدا إلى الثقافة الإسلامية، فمن السهل أن يكتب أي مشرك ولا تجد في كتاباته كفرا، وإنما دعوة إلى التوحيد، مادام يقرر أمورا عامة، ويتخذ لكفره مبررات أخرى يظن أنها لا تبطل التوحيد، ثم يأتي من يقول أن هذا المحكم وما هنالك من إشارات إلى الكفر إنما هو متشابه ومجمل، غير أن المجمل والمتشابه في الحقيقة هو ما قرره من التوحيد.
فلو اتبعنا هذا النهج وطبقناه على كل من مات قبلنا وإن كان قريب العهد بنا لجاء من بعدنا وقالوا أن ابن باز كان مسلما، لأنهم لا يجدون أمامهم إلا فتواه في كفر عابد القبر الجاهل.

فهذا محمد بن إبراهيم المتوفي منذ أربعين سنة فقط، وهو الحفيد الرابع لمحمد بن عبد الوهاب كان قاضيا في الدولة السعودية الحالية، وقد صار أبناؤه وزراء، وكان إماما خطيبا ومفتيا في دار الإفتاء في قوم نعرف حالهم، من مشايخه سعد بن حمد بن عتيق، ومن تلامذته ابن باز وابن جبرين والشعيبي، وقد صاحبَ أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي ومحمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان)، هذا الأخير الذي كان عضوا في هيئة كبار العلماء وعضوا في ما يسمى برابطة العالم الإسلامي.
هذه حقائق مثل ذلك الكلام الحسن الموجود في مؤلفاتهم، فأيهما المحكم والمتشابه والمجمل والمفسر؟
وكل هذا التناقض جاء من جهلنا بما يحيط بنا، لأننا نحشر رؤوسنا بين دفتي الكتاب لا نخرج منه، وحتى ما في الكتاب إذا كان كلاما صريحا لا يصح أن يقال: هو متشابه، وإنما هو تناقض، وإن وصل التناقض إلى حد الكفر فهو كفر، وليس مستحيلا أن يتناقض كلام البشر، ومن عادتنا أن نرى من يقول بالكفر ويتراجع عنه دون أن يعتقد أنه كفر بالله، وإنما يتراجع عنه كما يتراجع في فتاويه الفقهية.
وقبل أن نعرف إسلام أحد ممن قبلنا أو كفره، علينا أوّلا أن نعرف حكم قومه الذين عاش بينهم، هل عاش بين المسلمين، وبالتالي يكون الأصل فيه الإسلام حتى يثبت العكس بيقين لا بكلام متشابه، فلا يعقل أن نتفطن نحن لكفره ولم يتفطن له أهل زمانه المسلمون.
أما أن يكون قومه كفارا كأهل زماننا فالأصل فيه الكفر حتى يثبت لدينا براءته من كفرهم بالذات تفصيلا، لا بكلام مجمل في التوحيد، فحتى قومه الكفار لا ينكرون هذا المجمل، ولكنهم كفروا بأمور أخرى.
ووفق نظرة البعض لا نستبعد أن يكون هناك من يتصور في سذاجة عالما مسلما بين قومه الكفار وهو محترم ومبجّل بينهم بصورة لم يعرفها حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قوله تعالى: {وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ}. ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحاً في آيات كثيرة.
فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته قال في حكمه {وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا}، وفي قراءة ابن عامر من السبعة {وَلاَ تُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا} بصيغة النهي.
وقال في الإشراك به في عبادته: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا}، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله. ا هـــ
وهو ما يقوله سيد قطب الذي تعتبر كلامه إلا قول عابر، وموقف مؤقت بحالته يزول بزوالها، لا عقيدة ثابتة يترجمها العمل[1]،)
يقول سيد قطب (في ظلال القرآن – (ج 3 / ص 154)
إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك ، ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك . ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك . . إن هؤلاء لا يقرأون القرآن ، ولا يعرفون طبيعة هذا الدين . . فليقرأوا القرآن كما أنزله الله؛ وليأخذوا قول الله بجد : { وإن أطعتموهم إنكم لمشركون } وإن بعض هؤلاء المتحمسين لهذا الدين ليشغلون بالهم وبال الناس ببيان إن كان هذا القانون ، أو هذا الإجراء ، أو هذا القول ، منطبقاً على شريعة الله أو غير منطبق . . وتأخذهم الغيرة على بعض المخالفات هنا وهناك . . كأن الإسلام كله قائم ، فلا ينقص وجوده وقيامه وكماله إلا أن تمتنع هذه المخالفات!
هؤلاء المتحمسون الغيورون على هذا الدين ، يؤذون هذا الدين من حيث لا يشعرون . بل يطعنونه الطعنة النجلاء بمثل هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة . . إنهم يفرغون الطاقة العقيدية الباقية في نفوس الناس في هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة . . إنهم يؤدون شهادة ضمنية لهذه الأوضاع الجاهلية . شهادة بأن هذا الدين قائم فيها ، لا ينقصه ليكمل إلا أن تصحح هذه المخالفات . بينما الدين كله متوقف عن « الوجود » أصلا ، ما دام لا يتمثل في نظام وأوضاع ، الحاكمية فيها لله وحده من دون العباد .) ا هـــ
ويقول الشهيد سيد قطب
في تفسير قوله تعالي
– (إن الحكم إلا لله . أمر ألا تعبدوا إلا إياه . ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون). .يوسف
إن الحكم لا يكون إلا لله . فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته ; إذ الحاكمية من خصائص الألوهية . من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته ;سواء ادعى هذا الحق فرد , أو طبقة , أو حزب . أو هيئة , أو أمة , أو الناس جميعا في صورة منظمة عالمية . ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادعاها فقد كفر بالله كفرا بواحا , يصبح به كفره من المعلوم من الدين بالضرورة , حتى بحكم هذا النص وحده) ا هـــ تم يقول سيد قطب (ومرة أخرى نجد أن منازعة الله الحكم تخرج المنازع من دين الله – حكما معلوما من الدين بالضرورة – لأنها تخرجه من عبادة الله وحده . . وهذا هو الشرك

الذي يخرج أصحابه من دين الله قطعا . وكذلك الذين يقرون المنازع على ادعائه , ويدينون له بالطاعة وقلوبهم غير منكرة لاغتصابه سلطان الله وخصائصه . . فكلهم سواء في ميزان الله.
ويقرر يوسف – عليه السلام – أن اختصاص الله – سبحانه – بالحكم – تحقيقا لاختصاصه بالعبادة - هو وحده الدين القيم:(ذلك الدين القيم). .
وهوتعبير يفيد القصر . فلا دين قيما سوى هذا الدين , الذي يتحقق فيه اختصاص الله بالحكم , تحقيقا لاختصاصه بالعبادة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
وكونهم) لا يعلمون)لا يجعلهم على دين الله القيم . فالذي لا يعلم شيئا لا يملك الاعتقاد فيه ولا تحقيقه . . فإذا وجد ناس لا يعلمون حقيقة الدين , لم يعد من الممكن عقلا وواقعا وصفهم بأنهم على هذا الدين ! ولم يقم جهلهم عذرا لهم يسبغ عليهم صفة الإسلام . ذلك أن الجهل مانع للصفة ابتداء . فاعتقاد شيء فرغ عن العلم به . .وهذا منطق العقل والواقع . . بل منطق البداهة الواضح .)ا هـ وجاء في تفسير الظلال للشهيد سيد قطب لقوله تعالي (- كذلك كدنا ليوسف . . ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك . . .). .يوسف 15
ولا بد أن نقف أمام التعبير القرآني الدقيق العميق:
( كذلك كدنا ليوسف . . ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك. . .). .
إن هذا النص يحدد مدلول كلمة "الدين" – في هذا الموضع – تحديدا دقيقا. . إنهيعني:نظام الملك وشرعه . . فإن نظام الملك وشرعه ما كان يجعل عقوبة السارق هو أخذه في جزاء سرقته . إنما هذا كان نظام يعقوب وشريعة دينه . وقد ارتضى إخوة يوسف تحكيم نظامهم هم وشريعتهم ; فطبقها يوسف عليهم عندما وجد صواع الملك في رحل أخيه . . وعبر القرآن الكريم عن النظام والشريعة بأنها "الدين" . .
هذا المدلول القرآني الواضح هو الذي يغيب في جاهلية القرن العشرين عن الناس جميعا .سواء منهم من يدعون أنفسهم مسلمين وغيرهم من الجاهلين !
إنهم يقصرون مدلول "الدين" على الاعتقاد والشعائر. . ويعدون كل من يعتقد في وحدانية الله وصدق رسوله ويؤمن بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ; ويؤدي الشعائر المكتوبة . . . داخلا في "دين الله" مهما تكن دينونته بالطاعة والخضوع وإقراره بالحاكمية لغير الله من الأرباب المتفرقة في
الأرض . . بينما النص القرآني هنا يحدد مدلول "دين الملك" بانه نظام الملك وشريعته . وكذلك "دين الله" فهو نظامه وشريعته . .
إن مدلول "دين الله" قد هزل وانكمش حتى صار لا يعني في تصور الجماهير الجاهلية إلا الاعتقاد والشعائر . . ولكنه لم يكن كذلك يوم جاء هذا الدين منذ آدم ونوح إلي محمد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.
لقد كان يعني دائما:الدينونة لله وحده ; بالتزام ما شرعه , ورفض ما يشرعه غيره .وإفراده - سبحانه – بالألوهية في الأرض مثل إفراده بالألوهية في السماء ; وتقرير ربوبيته وحده للناس:أي حاكميته وشرعه وسلطانه وأمره . وكان مفرق الطريق دائما بين من هم في دين "الله" ومن هم في "دين الملك" أن الأولين يدينون لنظام الله وشرعه وحده , وأن الآخرين يدينون لنظام الملك وشرعه . أو يشركون فيدينون لله في الاعتقاد والشعائر , ويدينون لغير الله في النظام والشرائع !
وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة , ومن بديهيات العقيدة الإسلامية تماما .
وبعض المترفقين بالناس اليوم يتلمسون لهم عذرا في أنهم يجهلون مدلول كلمة "دين الله "وهم من ثم لا يصرون ولا يحاولون تحكيم شريعة الله وحدها بوصفها هي "الدين" .وأن جهلهم هذا بمدلول الدين يعفيهم من أن يكونوا جاهليين مشركين !
وأنا لا أتصور كيف أن جهل الناس ابتداء بحقيقة هذا الدين يجعلهم في دائرة هذا الدين!
إن الاعتقاد بحقيقة فرع عن معرفتها . فإذا جهل الناس حقيقة عقيدة فكيف يكونون معتنقين لها ? وكيف يحسبون من أهلها وهم لا يعرفون ابتداء مدلولها ?
إن هذا الجهل قد يعفيهم من حساب الآخرة, أو يخفف عنهم العذاب فيها ; ويلقي بتبعاتهم وأوزارهم على كاهل من لا يعلمونهم حقيقة هذا الدين وهم يعرفونها. . ولكن هذه مسألة غيبية متروك أمرها لله, والجدل في الجزاء الأخروي لأهل الجاهلية عامة ليس وراءه كبير طائل. وليس هو الذي يعنينا نحن البشر الذين ندعو إلى الإسلام في الأرض!
إن الذي يعنينا هو تقرير حقيقة الدين الذي فيه الناس اليوم . . إنه ليس دين الله قطعا . فدين الله هو نظامه وشرعه وفق النصوص القرآنية الصريحة . فمن كان في نظام الله وشرعه فهو في "دين الله" . ومن كان في نظام الملك وشرعه فهو في "دين الملك" .ولاجدال في هذا .

والذين يجهلون مدلول الدين لا يمكن أن يكونوا معتقدين بهذا الدين . لأن الجهل هنا وارد على أصل حقيقة الدين الأساسية . والجاهل بحقيقة هذا الدين الأساسية لايمكن عقلا وواقعا أن يكون معتقدا به . إذ الاعتقاد فرع عن الإدراك والمعرفة . .وهذه بديهية . .

وخير لنا من أن ندافع عن الناس – وهم في غير دين الله – ونتلمس لهم المعاذير ,ونحاول أن نكون أرحم بهم من الله الذي يقرر مدلول دينه وحدوده ! . .

خير لنا من هذا كله أن نشرع في تعريف الناس حقيقة مدلول "دين الله" ليدخلوا فيه . . أو يرفضوه . .

هذا خير لنا وللناس أيضا . . خير لنا لأنه يعفينا من تبعة ضلال هؤلاء الجاهلين بهذا الدين , الذين ينشأ عن جهلهم به عدم اعتناقه في الحقيقة . . وخير للناس لأن مواجهتهم بحقيقة ما هم عليه – وأنهم في دين الملك لا في دين الله –قد تهزهم هزة تخرجهم من الجاهلية إلى الإسلام , ومن دين الملك إلى دين الله !

كذلك فعل الرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – وكذلك ينبغي أن يفعل الدعاة إلي الله في مواجهة الجاهلية في كل زمان ومكان . ا هـ

ويقول سيد قطب في ظلال القرآن – (ج 2 / ص 165)

وحين ينتهي السياق من تقرير هذه القاعدة الكلية ، في شرط الإيمان وحد الإسلام ، وفي النظام الأساسي للأمة المسلمة ، وفي منهج تشريعها وأصوله . . يلتفت إلى الذين ينحرفون عن هذه القاعدة؛ ثم يزعمون – بعد ذلك – أنهم مؤمنون! وهم ينقضون شرط الإيمان وحد الإسلام . إذ يريدون أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله . . { إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به } . .

يلتفت إليهم ليعجب من أمرهم ويستنكر . . وليحذرهم – وأمثالهم – من إرادة الشيطان بهم الضلال . ويصف حالهم حين يدعون إلى ما أنزل الله وإلى الرسول فيصدون . ويعتبر هذا الصدود نفاقاً . كما اعتبر إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت خروجاً من الإيمان – بل وعدم دخول فيه ابتداء.)

ثم يقول ج 2 / ص167.

ألم تر إلى هذا العجب العاجب . . قوم . . يزعمون . . الإيمان . ثم يهدمون هذا الزعم في آن؟! قوم { يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك } . ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك؟ إنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر ، وإلى منهج آخر ، وإلى حكم آخر . . يريدون أن يتحاكموا إلى . . الطاغوت . . الذي لا يستمد مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . ولا ضابط له ولا ميزان ، مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . . ومن ثم فهو . . طاغوت . . طاغوت بادعائه خاصية من خواص الألوهية . وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضاً! وهم لا يفعلون هذا عن جهل ، ولا عن ظن . . إنما هم يعلمون يقيناً ويعرفون تماماً ، أن هذا الطاغوت محرم التحاكم إليه : { وقد أمروا أن يكفروا به } . . فليس في الأمر جهالة ولا ظن . بل هو العمد والقصد . ومن ثم لا يستقيم ذلك الزعم . زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك! إنما هو الشيطان الذي يريد بهم الضلال الذي لا يرجى منه مآب . .)ا هـ

وبعد هذا كله تقول (وما كلامه إلا قول عابر، وموقف مؤقت بحالته يزول بزوالها، لا عقيدة ثابتة يترجمها العمل) لعلك ما قرأت هذا الكلام قبل اليوم ياشيخ محمد سلامي

وأنظر ما قال علماء الدعوة النجدية ومنهم سلمان بن سحمان وفي الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج2 ص502–510

المقام الثاني: أن يقال: إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر، فقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر من القتل، قال: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} ، وقال: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} 4، والفتنة: هي الكفر; فلو اقتتلت البادية والحاضرة، حتى يذهبوا، لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتا، يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم.

المقام الثالث: أن نقول: إذا كان هذا التحاكم كفرا، والنزاع إنما يكون لأجل الدنيا، فكيف يجوز لك أن تكفر لأجل ذلك؟ فإنه لا يؤمن الإنسان، حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وحتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

فلو ذهبت دنياك كلها، لما جاز لك المحاكمة إلى الطاغوت لأجلها، ولو اضطرك مضطر وخيرك، بين أن تحاكم إلى الطاغوت، أو تبذل دنياك، لوجب عليك البذل، ولم يجز لك المحاكمة إلى الطاغوت; والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله وسلم تسليما كثيرا. ا هـ

وهو ما جاء في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد

الشيخ / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

دراسة وتحقيق:

محمد حامد الفقي

الناشر:
مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر
السابعة، 1377هـ/1957م
ص -393- ... والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه؛ كما أن ذلك بين في قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}1 الآية. وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به. ا هـ
وما يقوله الشيخ محمد بن إبراهيم في كلامه السابق من أن الحكم فيه أصغر واكبر
هو ما يقوله الشيخ محمد سلامي
في كتاب فضائح المشركين(فالقوم اليوم يلفون ويدورون حول آية:[وَمَن لَّمْ يَحْكُم] لوجود ما يتعلقون به من كلام السلف، وأهملوا نصوصا أخرى منها ما تعتبر التشريع من دون الله دينا وشركا به، كقول الله -تعالى- : [مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ[]يوسف: 76]، وقوله -سبحانه-: [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ[]الشورى: 21].
ومنها ما تعتبر الإحتكام إلى غير الله إيمانا بالطاغوت، كقوله -تعالى-: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ[]النساء: 60].
ونلاحظ أن الخوارج قديما لم يستدلوا بمثل هذه النصوص، لأن الحكاميومئذ لم يشرعوا خلاف شرع الله، ولو شرعوا لما وجد خلاف في حكمهم.
ويكثرون من أقوال السلف في المسألة حتى يجعلوا لكفرهم جذورا من قرون الإسلام الأولى، لكن السلف لم يتكلموا عما نحن بصدده من التشريع من دون الله، وتكلموا عما وقع في عصرهم من المخالفة فقط، ولذلك لم يذكروا من الكفر إلا الإستحلال، لكن ليس في كلامهم ما يدل على أن الكفر ينحصر في صورة الإعتقاد هذه، فهم لم يعرفوا شرعا آخر غير منسوب لله حتى غزت العلمانية هذه البلاد، ولم يكن للحكام أو العوام رغبة في التحاكم إلى شرع غير الله، لأن إيمانهم يمنعهم، كما أن الكفار صاغرون والدولة الإسلامية قوية عكس ما نحن عليه اليوم تماما، فمن التعنت الاحتجاج بأقوالهم في حالة كحالتنا اليوم.)ا هـ
وهو ما يقوله أيضا في كتاب الملة الغائبة
(إن الحاكم المسلم يقضي بشرع الله أساسا، سواء كان سلطانًا أو واليا أو قائدًا أو قاضيا أو شخصا عاديا احتكم إليه الناس في خلاف أو خصومة، ثم إن هذا الحاكم المسلم قد يجور عن الهدى ويتّبع الهوى، فيخالف الكتاب والسنة، فقد يحكم للظالم على المظلوم، وقد يعاقب البعيد ويسقط الحدّ عن القريب وغير ذلك.
وهذا مثل الذي قال فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - : « القضاة ثلاثة : قاضيان في النار وقاض في الجنّة، فرجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى بين الناس على جهل، ورجل علم الحق وقضى به فهو في الجنّة » (رواه أبو داود وابن ماجه بسند حسن).
وهؤلاء القضاة الثلاثة مسلمون شرعهم هو شرع الله، لكن خالفه بعضهم هوى، فهم من عصاة المسلمين لا يخلّدون في النار، ولولا ذلك لما دخل الجنّة ثالثهم بمخالفتهم في العلم بالحق ومتابعته.
)ا هـ ويقول أيضا في كتاب الملة الغائبة (ويختلف من يحكم بهواه لا بشرع الله ولا بشرع آخر مع تسليمه بشرع الله واعتقاده بأنه عصى الله وعدم رضاه بشرع آخر عن ذلك الذي يحكم بهواه أيضا مع عدم التسليم بشرع الله وعدم الإكتراث به، بل يحكم برأيه كما اتفق فهو من حكم الجاهلية، وهذا كافر عبد هواه واشترى الكفر بالإيمان، فقد اتخذ عقائد وشرائع لوحده مخالفة لعقائد الإسلام وشرائعه التي وأدها وأماتها.
أما المتبع هواه في غير الكفر من الذنوب فلم يغيّر حكم الله فيها، وبذلك فلم يتخذ هواه مشرّعا ومعبودًا، وليست هناك حالة لا يكون فيها المخالف لشرع الله مسلما فاجرًا أو كافرًا، لا شيء غير ذلك.
وأما ما جاء عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شراج الحرّة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري : سرّح الماء يمرّ، فأبى عليه الزبير، فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للزبير : « اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك » فغضب الأنصاري ثم قال : يا رسول الله، آن كان ابن عمّتك ؟ فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال للزبير : « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر » فقال الزبير : والله إني لا أحسب هذه الآية ما نزلت إلا في ذلك « فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ

يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (النساء : 65) (رواه البخاري ومسلم).

وربما لم تنزل الآية في ذلك لأن الأنصاري احتكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها تندرج في سياق الآيات السابقة، وهي الصدود عن حكم الله والإحتكام إلى الطاغوت، فقد أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يصلح بينهما فتساهل في حق الزبير، لكن الأنصاري غضب، وكان يريد ألاّ يحبس الماء أبدًا، واتهم النبي في حكمه بأنه لم يتحرّ العدل، وهذا يدل على ضعف الإيمان لا على انتفائه أصلا، إن كانت الآية قد نزلت فيه، كقوله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (رواه البخاري ومسلم). ا هـ

غير أن الشيخ محمد سلامي يتمسك بالمتشابه من كلام العلماء حتي يتسنى له تكفيرهم ويترك المحكم الذي لا غبار فيه والذي يمكن فهم المتشابه في ضوءه فعلماء الدعوة النجدية التي ذكرت سابقا يفرقون بين ديار إسلام يحكم أهلها بالإسلام ويقع القضاة والحكام في الظلم نتيجة رشوة أو قرابة ولا يغيرون حكم الله بحكم غيره ولا يستبدلون حكم الله بحكم غيره فهم ظالمون غير مشركين وسُئِل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (هل تجب الهجرة من بلاد المسلمين التي يُحكم فيها بالقانون؟) فأجاب (البلد التي يحكم فيها بالقانون ليست بلد إسلام، تجب الهجرة منها، وكذلك إذا ظهرت الوثنية من غير نكير ولا غُيّرت فتجب الهجرة، فالكفر بفشُوّ الكفر وظهوره، هذه بلد كفر) من (فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ) جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط 1399هـ بمكة المكرمة، جـ 6 صـ 188 اما في حالة إذا كانت الديار إسلام لكن بها أخطاء فهذا أمر أخر

يقول الشيخ حلمي هاشم في حاشية كتاب الفوائد

(1)- ذكر كثير من أهل العلم أن الحكم بغير ما أنزل الله من الكفر العملى فظن كثير من الناس أنه بهذا يعد كفراً غير مخرج من الملة ، وصاحوا بذلك في كل وجه ، والحق الذي لا مرية فيه ولا شك أن الحكم بغير ما أنزل الله يعد من الكفر العملى ، ولكن منه ما يضاد أصل الإيمان فيكون صاحبه خارج من الملة بالكلية ، ومنه ما لا يضاد أصله بل يعد صاحبه من أصحاب الذنوب والكبائر ، وقد قال في ذلك شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله :

(وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو : أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة ، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة .

ويكون كفراً إما مجازيا وإما كفرا أصغر على القولين المذكورين ، وذلك بحسب حال الحاكم :

* فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه ، أو استهان به – مع تيقنه أنه حكم الله – : فهذا كفر أكبر . =

= * وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله ، وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة ، فهذا عاصي ويسمى كافراً مجازياً أو كفر أصغر.

* وإن جهل حكم الله فيها ، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه ، فهذا مخطئ ، له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور ) أ.هـ

. شرح الطحاوية ص 323-324 ط. المكتب الإسلامي

وإذا كان هذا الفهم القويم واضحا في الأذهان فعلى ذلك تجد أن ما قاله الصحابي الكريم عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما عن كون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً دون كفر ، أو كفراً غير ناقل من الملة ، فإنه رضي الله عنه يتكلم عن النوع الثاني من الحكم بغير ما أنزل الله ، وكما أوضحه شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله ، وهو الموافق تماما لما كان عليه أمراء بني أمية محل حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ولذا كان من الضروري الوقوف علي حقيقة مناط حديث الصحابي رضي الله عنه ،للوقوف على حقيقة مقصده ، والحمد لله رب العالمين .)ا هـ

أما الحكم بالقوانين الوضعية لم يختلفوا في كونها شرك أكبر وانظر رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن ابراهيم حيث يقول فيها(إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، ليكون حكماً بين العالمين، مناقضة ومحادة لما نزل من رب العالمين. )

وجاء في كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد

الشيخ : سليمان بن عبد الله آل الشيخ دراسة وتحقيق:زهير الشاويش

الناشر:المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق

الأولى، 1423ه-/2002م

باب قول اللّه تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً...}] .

وقوله تعالى:{وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ}.أي بالطاغوت وهو دليل على أن التحاكم إلى الطاغوت مناف للإيمان مضاد له، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به، وترك التحاكم إليه فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن باللّه.

ثم يقول

وفي الآية دليل على أن ترك التحاكم إلى الطاغوت، الذي هو ما سوىالكتاب والسنة من الفرائض وأن التحاكم إليه غير مؤمن بل ولا مسلم.ا هـ

وجاء في كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

تأليف:عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

دراسة وتحقيق:بشير محمد عيون

الناشر:مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية

الأولى، 1411هـ/1990م

قوله: "باب قول الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ }1 " الآية.

وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه كالطواغيت، أو كان شجرا أو حجرا أو قبرا كاللات والعزى ومناة وغير ذلك، مما كان يتخذه المشركون لهم أصناما على صور الصالحين والملائكة أو غير ذلك فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته ويتبرءوا منه، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنا من كان، فالتوحيد هو الكفر بكل ما عبد من دون الله كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبيهِ وقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إلا الَّذِي فَطَرَنِي} الآية4، فلم يستثن من كل معبود إلا الذي فطره سبحانه وتعالى، هذا معنى لا إله إلا الله كما تقدم في قوله: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ }4 إلى قوله: {حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ }5، وكذلك من خالف حكم الله ورسوله بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو مع الجهل بذلك، أو طلب ذلك أن يتبع عليه أو أطاعه فيما لا يعلم أنه حق إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقا أم لا، فهو طاغوت بلا ريب كما قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ } لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة، فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن قد نفى ما نفته لا إله إلا الله. ا هـ

وفي الدرر السنية في الكتب النجدية – (ج 13 / ص 429)

[ من لم يكفر الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ]

وسئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، عمن لم يكفر الدولة، ومن جرهم على المسلمين، واختار ولايتهم وأنه يلزمهم الجهاد معه; والآخر لا يرى ذلك كله، بل الدولة ومن جرهم بغاة، ولا يحل منهم إلا ما يحل من البغاة، وأن ما يغنم من الأعراب حرام؟

فأجاب: من لم يعرف كفر الدولة، ولم يفرق بينهم وبين البغاة من المسلمين، لم يعرف معنى لا إله إلا الله، ؛ فإن اعتقد مع ذلك: أن الدولة مسلمون، فهو أشد وأعظم، وهذا هو الشك في كفر من كفر بالله، وأشرك به; ومن جرهم وأعانهم على المسلمين، بأي إعانة، فهي ردة صريحة.

ومن لم ير الجهاد مع أئمة المسلمين، سواء كانوا أبرارا أو فجارا، فهو لم يعرف العقائد الإسلامية، إذا استقام الجهاد مع ذوي الإسلام، فلا يبطله عدل عادل ولا جور جائر؛ والمتكلم في هذه المباحث، إما جاهل فيجب تعليمه، أو خبيث اعتقاد، فتجب منافرته ومباعدته. ا هـ

وهذا كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي علم به كثر من الموحدين والذي تقول عنه (غير أن كلامهم لا يعد إلا كلاما فلسفيا عامّا لا صلة له بالواقع، ولا علاقة بينه وبين عملهم، فهم في واقع الأمر يعتبرون الناس مسلمين،)

وفي كتب مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص377

الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}1.

فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله فهو أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم.
وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله:{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}1 الممتحنة.
والطاغوت عام، فكل ما عُبد من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت.)انتهي كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي تكفره بالشبهات وتترك الكلام المحكم المستند إلي دليل من القرآن ولعلك ما مر عليك هذا الكلام من قبل حتي ترجع عن تكفيرك له ولعلماء الدعوة النجدية الذين قاتلوا المشركين في جزيرة العرب وأرجو منك أن تقرأ كتاب تاريخ نجد لأبن غنام كي تعرف أكثر من هم علماء الدعوة النجدية وكيف كانت دعوتهم وقتالهم للمشركين

هذا الكلام ليس محكما نرد إليه المتشابه، وإنما هو تعريفات عامة ليس من المستحيل أن ينقضها بعدم تكفير الكفار بدعوى الجهل، وحتى مشركو هذا الزمان يقرّون نظريا بهذه التعريفات ولا ينكرونها.
أما تكفير النجديين للدولة التركية ومن ناصرها فكان أثناء قتالهم، فكان بعد الدعوة والإصرار ومحاربتهم للدعوة النجدية، لا تكفيرا للجاهل.

خامسا يقول الشيخ محمد سلامي في كتاب فضائح المشركين
–(فالتوحيد مبدأ يثبت أو ينتفي، ولا وسط بينهما، فإذا دخله الشرك يوما بطل التوحيد، ولا يلتقيان أبدا، إن توحيد أبي بكر في مكة هو نفسه في أواخر حياته، لم يتعلمه تدريجيا، بل أخذه كلا لا يتجزأ، أما ما تلقاه تدريجيا فهو الشرائع والدلائل الأخرى على التوحيد.
وهكذا يجعلون الفرق بين التوحيد والشرك كالفرق بين السابق بالخيرات والمقتصد، بين الذي اجتنب الشبهات والمكروهات وعمل بالمستحبات ومن اقتصر على أداء الفرائض وترك المحرمات فقط، واعتبروا المشرك من جملة المسلمين، لكن الموحد أسمى منه درجة عند الله وأعلى مقاما، وقالوا أن الإسلام لا يقام طفرة واحدة.
وقالوا: أتريدون أن يكون إسلام الناس مثل الصحابة؟ نعم، يجب أن يكونوا مسلمين كالصحابة، ولا فرق بين إسلام هؤلاء وهؤلاء، فإسلام الأنبياء وإسلام الناس واحد، كما ذكر الله –تعالى– عن ملكة سبأ قولها: [وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] [النمل: 44]، وليس في ذلك مراتب أو درجات، وليس في الإسلام تفاضل.
وإنما يتفاضل المؤمنون في تقواهم وإيمانهم وخوفهم من الله، فهذا هو الذي يزيد وينقص ويتطور، فإن أسلموا بقي الفرق بينهم وبين الصحابة والصالحين في التقوى وسعوا لتزكية نفوسهم.
أما التوحيد فهو واحد، كما أن الشرك بالله واحد لا مراتب فيه، ولا منزلة بين المنزلتين، فليس هناك إسلام ناقص أو شبه إسلام، ولم يرد في ديننا أن هناك غلوا في التوحيد أصل الدين، لأنه شيء واحد لا يتبعض، فالإيمان لا يزيد بالتوحيد، ولكن يقوم عليه، ولا ينقص بالشرك، ولكن الشرك يبطل الإيمان ويحبطه.
بخلاف الذين جعلوا الشرك الأكبر منافيا لكمال التوحيد، أو الذين يطلقون قول بعض السلف: يجتمع في المسلم كفر وإيمان، هكذا دون بيان، فعلماء السلف كانوا يقصدون المعاصي التي تسمى كفرا أصغر، والتي لا تنقض الإيمان، فالواجب أن توضح هذه المعاني للناس، حتى لا يظن ظان أن الإسلام يجتمع بالكفر عند امرئ مسلم.
ومثله قول بعضهم أن فهم "لا إله إلا الله" مراتب، فيتفاوت الناس في إدراك التوحيد، لإبطال كفر جاهله، [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ] [الصف: 8].
فلم يبق لدين الله عندهم حد معلوم يفصل بينه وبين الكفر، وإنما كل شيء عندهم نسبي، وكأن التوحيد شرط كمال للإيمان لا شرط صحة، بينما الدخول في الإسلام والخروج منه وثبوته وانتفاؤه ليس نسبيا، كما لا يصح أن يكون الرجل داخل البيت وخارجه في نفس الوقت.
قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ، ولا يجتمع الكذب والصدق جميعا، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعا) [رواه أحمد].
قد يتهربون من تحديد الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، وبين المسلم والكافر، بحجة أن المقدار الذي يمكن أن يظهره المسلم من دينه يختلف باختلاف الظروف المحيطة به، وبهذا يصير التوحيد نسبيا)ا هــ
الـــــــــــــــــــــــــــرد

هذا كلام فيه لبس ويحتاج إلي توضيح أكثر
أولا لا يجتمع الشرك الأكبر والتوحيد أو الإسلام في قلب رجل إلا كان مشركا غير مسلم (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) [يوسف/106]) وهذا ما يقوله الشيخ محمد سلامي (إنه لا يجتمع الإيمان بالله والإيمان بالباطل، يقول الله –تعالى–: [وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ[]العنكبوت: 52]، والإحتكام إلى الطاغوت إيمان به وكفر بالله، ولا تداخل بينهما، يقول –سبحانه وتعالى–: [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا[]البقرة: 256]. )
ثانيا نور كلمة التوحيد تتفاوت في قلوب المؤمنين ولا يعني تفاوتها وقوع الشرك الأكبر فيهم
جاء في كتاب الفوائد للشيخ حلمي هاشم
قال شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله : (ويجتمع في المؤمن ولاية في وجه وعداوة في وجه ..) . (1)
وإذا كان أهل الإيمان في أصله سواء أي أن التساوي بينهم إنما هو في أصله ( ولا يلزم منه التساوي من كل وجه بل تتفاوت درجات نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله تعالى ، فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس ، ومنهم نورها في قلبه كالكوكب الدري ، وآخر كالمشعل العظيم ، وآخر كالسراج المضئ ، وآخر كالسراج الضعيف ، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علما وعملا ، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته ، بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنبا إلا أحرقه ، وهذا حال الصادق في توحيده ، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق ، ومن عرف هذا عرف معنى قول النبئ صلى الله عليه وسلم : (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله) وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس حتى ظنها بعضهم أنها منسوخة ... والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط ، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام . (2)
فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار ، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها ولا عددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب ، وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر ، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات ، فلا يعذب صاحبها ، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار )أ.هـ (3)
قال البقاعي: ""لا إله إلا الله "أي انتفى انتفاءً عظيماً أن يكون معبوداً بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل صرف" .
والمراد من هذه الكلمة– كما ذكرت آنفاً– معناها وتحقيقها بالعمل بمقتضاها لا مجرد لفظها فإن المنافقين كانوا يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار.
والكفار– مع جهلهم بما جاء في الكتاب والسنة– يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو إفراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: "قولوا لا إله إلا الله"قالوا: { أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ!} (1) .
فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهولا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن أن ذلك: هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله. فلا خير في إنسان جهال الكفار أعلم منه بلا اله إلا الله.
وبسبب هذا الجهل ضل من ضل منهم حين قلبوا حقيقة المعنى فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والجن وغير ذلك. فهذا تجدهم يقولون لا إله إلا الله وهم يدعون مع الله غيره، وما ذاك إلا بسبب الجهل بمعنى لا إله إلا الله والحد الأدنى للعلم بشهادة أن لا إله إلا الله العلم بمعناها بصورة إجمالية ويأتي بعد هذا الحد درجات يتفاوت الناس فيها في العلم بهذه الشهادة أعلاها البصيرة التي تكون بنسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر . وبقدر العلم والجهل يحصل التفاضل في الإيمان بها، إذ أن العلم يستلزم العمل فكلما زاد العلم زاد العمل، وبذلك يزداد الإيمان ومن ثم يحصل التفاضل فيه ا هـ
أنظر كتاب العلم والجهل بلا إله إلا الله للكاتب وقد نقلت فيه كلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لعلك تزداد فيه ثقة أنه يكفر المشركين عباد القبور ولا يعذر هم بالجهل
جاء في موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب – (ج 8 / ص 98)
القسم الثالث / بيان معنى لا إله إلا الله وما يناقضها من الشرك في العبادة

الرسالة الثالثة والعشرون ( ص 161 )
بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن عبد الوهاب إلي ثنيان بن سعود سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :
سألتم عن معني قوله تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم : ( فاعلم أنه لا إله إلا الله ) وكونها نزلت بعد الهجرة فهذا مصداق كلامي لكم مراراً عديدة أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان وذلك أن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكراراً عليكم وهي التي بوب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد وذلك أن العلم لا يسمي علماً إلا إذا أثمر وإن لم يثمر فهو جهل كما قال تعالي : ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) وكما قال عن يعقوب ( وإنه لذو علم لما علمناه ) والكلام في تقرير هذا ظاهر، والعلم هو الذي يستلزم العمل ومعلوم تفاضل الناس في الأعمال تفاضلا لا ينضبط وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم فيكفيك في هذا استدلال الصديق على عمر في قصة أبي جندل مع كونها من أشكل المسائل التي وقعت في الأولين والآخرين شهادة أن محمداً رسول الله، وسر المسألة العلم بلا إله إلا الله، ومن هذا قوله تعالى لنبيه صلي الله عليه وسلم ( ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير. ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ) فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلا عن غيرهم، ولما نهى نوح بنيه عن الشرك أمرهم بلا إله إلا الله فليس هذا تكراراً ؛ بل هذان أصلان مستقلان كبيران وإن كانا متلازمين فالنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت، ولا إله إلا الله الإيمان بالله، وهذا وإن كان متلازماً فيوضحه لكم الواقع وهو أن كثيراً من الناس يقول لا أعبد إلا الله وأنا أشهد بكذا وأقر بكذا ويكثر الكلام فإذا قيل له ما تقول في فلان وفلان إذا عبدا أو عبدا من دون الله قال ما علي من الناس الله أعلم بحالهم، ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه فمن أحسن الاقتران أن الله قرن بين الإيمان به والكفر بالطاغوت فبدأ بالكفر به على الإيمان بالله وقرن الأنبياء بين الأمر بالتوحيد النهى عن الشرك مع أن في الوصية بلا إله إلا الله ملازمة الذكر بهذه اللفظة والإكثار منها ويتبين عظم قدرها كما بين صلى الله عليه وسلم فضل سورة ( قل هو الله أحد ) على غيرها من السور ذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصرها، وكذلك حديث موسى عليه السلام فإن في ذكره ما يقتضي كثرة الذكر بهذه الكلمة كما في الحديث ( أفضل الذكر لا إله إلا الله ) والسلام ا هـ
ومن ذلك يتضح أن التوحيد ومنه الولاء لابد إن يكون متوفر في كل المسلمين ولكن صرفه لغير الله شرك أكبر لقوله تعالي(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا [الأنعام/14]) وكذلك الحكم والتشريع لقوله تعالي (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا [الأنعام/114]) وكذلك إفراد الله بالربوبية لقوله تعالي(قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) الانعام164 ) وإفراد الله بالإلوهية لقوله تعالي(قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا [الأعراف/140]كقوله تعالي(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64) [الزمر/64، 65]
غير أن نور لا إله إلا الله يتفاوت في قلوب المؤمنين كما ذكر صاحب العقيدة الطحاوية وكذلك شروط لا إله إلا الله تتفاوت في قلوب الموحدين لكن ضياعها ضياع لا إله إلا الله وما أظن الشيخ محمد سلامي إلا إنه يعلم كل هذا لكن كلامه كان مجملا وقد فصلته ووضحته للقارئ ليزاد علما

لا أرى هنا تفصيلا لما أجملتُه، ولكن كلامي كان في موضوع آخر، كنت أرد على العقيدة النسبية التي تقول أن التوحيد يزيد وينقص ويمكن أن يختلط بالشرك المضاد له، ورددت على المشركين الذين استدلوا بهذا الذي سمّي بنور لا إله إلا الله وهو ما يمكن أن نجمله في صفة التقوى، وهي مراتب على أن التوحيد بذاته مراتب أيضا، فيتفاضل المسلمون في توحيدهم كما يتفاضلون في تقواهم.

سادسا يقول الشيخ محمد سلامي
في كتاب فضائح المشركين- (إلا أن يكون كافرا جاهلا لأصل الدين، فيمتحن امتحانا آخر يوم القيامة، يدخل بعده الجنة أو النار، فلا يكون الكافر عاصيا لله بكفره وهو يجهل أن الله ينهى عن الإشراك به، فهناك فرق بين الكافر المكذب الذي يأبى الحق بعدما جاءه، والكافر السادر في نومه الذي لا يجد من ينبهه.)ا هـ
ويقول في كتاب فضائح المشركين(ومنه أن يجهل المسلم –مثلا- أن الله على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علما من السر والجهر والغيب و الشهادة، وقد ثبت في الكتاب والسنة أن جهلها لا ينفي الإسلام عن صاحبه.
عن أبي هريرة أن أناسا قالوا لرسول الله –صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (هل تضارّون في القمر ليلة البدر؟) قالوا: لا يا رسول الله، قال: (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟) قالوا: لا، قال: (فإنكم ترونه كذلك) [رواه البخاري ومسلم].

فالصحابة جهلوا هذا حتى ورد به الخبر، ولذلك سألوه، وإن الذين نفوا ذلك متأولين لنصوص أخرى بسوء فهم كالمعتزلة ليسوا بكافرين، إلا من كذّب بعد ظهور الدليل لديه دون شبهة، وهذا نادر جدًّا بين المسلمين.)ا هـ

الـــــــــــــــــــــــــــــرد

إن قولك (فلا يكون الكافر عاصيا لله بكفره وهو يجهل أن الله ينهى عن الإشراك به) يخالف قول الله (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (71)الحج71) وسوف يأتي تفصيل ذلك أكثر عند توضيح مسألة عذاب الآخرة وتفسير هذه الآية

معنى كلامي أنه كافر لم يقصد عصيان الله تعالى، وربما قصد طاعته دون علم بمخالفته دين التوحيد، وإن كانت طاعة باطلة لمخالفتها أمر الله ونهيه، والآية لا تتحدث عن هذا الجاهل وإنما تتحدث عن كافر معرض عن التوحيد لم يأته برهان من الله على ما نسبه إليه لا أنه جاهل بحكم ذلك.

وإن قولك (أن يجهل المسلم –مثلا– أن الله على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علما من السر والجهر والغيب و الشهادة، وقد ثبت في الكتاب والسنة أن جهلها لا ينفي الإسلام عن صاحبه ) ا هـ

هذا جهل بربوبية الله وهو أن يجهل المسلم –مثلا– أن الله على كل شيء قدير، مخالف لقول الله تعالي (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) [البقرة/106] وقوله تعالي (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40) [المائدة/40]

فقد أفترض الله في هذه الأمور العلم وهي ليست كالجهل في الصفات فالجهل في الصفة لا تعني جهل الموصوف

وكذلك قولك أن يجهل المسلم –مثلا– أن الله قد أحاط بكل شيء علما من السر والجهر والغيب و الشهادة، مخالف للربوبية لان هذا جهل بربوبية الله مخالف لقوله تعالي(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (70) [الحج/70]

أقول لك لقد التبس عليك الجهل بالربوبية بالجهل في الصفات وأنت تعلم أن الجهل بالربوبية كفر لكونه وقع علي أمور اشترط الله فيها العلم كما ذكرت لك في الآيتين السابقتين وكما قال الله تعالي (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) الانعام164 ) والسبب لأن جميع أسماء الله مشتقة، والمشتق كما هو معروف يكون دالاً على المعنى الذي اشتق منه.وأن الإيمان الربوبية إفراد الله بأفعاله والتي يشتق منها أسمائه فالقدرة اشتق منها القدير والعلم اشتق منها العليم وهي صفات ذاتية ثبوتيةفالصفات الذاتية هي التي تكون ملازمة لذات الخالق أي إنه متصف بها أزلاً وأبداً. كالحياة، والعلم، والقدرة

وليست فعلية فالفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والمجيء

الثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة، والعلم، والقدرة، ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

فكل المسلمين لابد أن يؤمنوا إيمان مجمل بهذه الصفات الذاتية الثبوتية لكون عدم الإيمان بها أو جهلها هو الجهل بالذات المقدسة وهي تختلف عن باقي الأسماء والصفات الاخري والتي يكون الجهل بالصفة لا تعني الجهل بالموصوف

كل المسلمين يؤمنون ولو إيمانا مجملا بهذه الصفات، ولا أحد يجهل صفة القدرة والعلم، ويصف الله عز وجل بأضدادها تعالى الله عن ذلك، فهذا لا يكون إلا كافرا معاندا، والجهل قد يحدث في أبعاد القدرة والعلم لا في أصلها، وهذا ليس جهلا بربوبية الله أو اتخاذ رب غيره.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى التوحيد، ويكتفي منهم بما كانوا يعرفونه عن ربهم بحكم الفطرة، وما بعده يؤمنون به جملة وعلى الغيب، ويتعلمونه تدريجيا بعد إسلامهم، ولم نسمع أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا المشركين إلى الإيمان بأنه يعلم السر وما هو أخفى وما كان وما يكون من الغيب قبل أن يدخلوا في الإسلام، ولم يربط الدخول في الإسلام بمعرفة ذلك، وكانت مظنة الجهل بها بين عبّاد الأصنام واليهود والنصارى أوفر مما هي عليه في واقعنا في أمة تعرف الكثير من عقائد الإسلام.

لا يصح أن نضع قواعد وتقسيمات واصطلاحات وفق أبعاد اللغة التي نستعملها حيث يصبح المصطلح دليلا ابتدائيا، ونتجاهل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

سابعا يقول الشيخ محمد سلامي في كتاب فضائح المشركين

(هذا ومن إثباتهم الإسلام لجاهلي الإسلام، قول ابن تيمية في "منهاج السنة" (131/5): (بل الكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام، ويحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية، وكانوا هم الأمراء المطاعين، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرا من الناس أسلموا، ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا بذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار وإلا كانوا جهالا).
إنهم يعتقدون أنه من الممكن أن يجهل المسلموجوب اتباع شرع الله وحده دون غيره مما يخالفه، والذي هو أوضح في الحقيقة لدى الناس من إفراد الله بالشعائر، فكيف أسلم؟! وما معنى إسلامه؟! إن جهله لهذا ينقض حتى نية الإلتزام الإجمالي، وهي الإقرار على الغيب.
فانظر –هداك الله– إلى تناقض هؤلاء العلماء، كيف جعلوا الإقرار المجمل هو الحد الأدنى الذي لا يجهله مسلم، لكنهم يحذفونه متى شاؤوا ويختلفون في معرفة حد الإسلام، وكأنه مسألة اجتهادية أو خلافية، ومع ذلك يظنون أنهم مسلمون جميعا، ولا جدال في إسلامهم!) ا هـ

*ويقول أيضا*

(تابع هذين القولين لعبد الرحمن بن حسن في العذر بالجهل في أصل الدين، إذ يقول في "فتح المجيد" (82):(وهؤلاء وإن قالوا: "لا إله إلا الله" فقد تركوا كل قيد قيدت به هذه الكلمة العظيمة من: العلم بمدلولها، لأن المشرك جاهل بمعناها، ومن جهله بمعناها جعل لله شريكا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلت عليه من الإخلاص، ولم يكن صادقا في قولها، لأنه لم ينف ما نفته من الشرك، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وترك اليقين أيضا، لأنه لو عرف معناها وما دلت عليه لأنكره، أو شك فيه، ولم يقبله، وهو الحق)، وربما تاب أيضا ودخل في دين الله بعد كفره.
لكنه هو نفسه القائل في "شرح أصل دين الله وقاعدته": (ثم قال(أي محمد بن عبد الوهاب): إن التوحيد يقتضي نفي الشرك، والبراءة منه، و معاداة أهله، وتكفيرهم، مع قيام الحجة عليهم.
ثم قال: بقي مسألة حدثت تكلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي عدم تكفير المعيّن ابتداء، لسبب ذكره –رحمه الله تعالى– أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه، قال –رحمه الله تعالى–: ونحن نعلم بالضرورة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، بلفظ الإستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بالرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم– مما يخالفه، انتهى.
قلت: فذكر –رحمه الله تعالى– ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة إلا بعد البيان والإصرار، فإنه قد صار أمة وحده، ولأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة، فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– في ابتداء دعوته، فإنه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: "الله خير من زيد" تمرينا لهم على نفي الشرك بلين الكلام، نظرا إلى المصلحة وعدم النفرة).
أنظر كيف يجعل تمرين الناس والتمهيد لدعوتهم بلين الكلام حجة في الإعتقاد مبدئيا بأنهم مسلمون، ) ا هـ

الـــــــــــــــــــــــــــــــرد

قال الشيخ حلمي هاشم في كتابه حجة الله البالغة الجزء الثاني
عن الإمام ابن تيمية رحمه الله أنه قال :

( ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات, ولا الأنبياء, ولا الصالحين, ولا غيرهم, بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها, كما أنه لم يشرع لأمته السجود لحي ولا إلى ميت ونحو ذلك . بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم , ولكن لغلبة الجهل وقلة العم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين له ما جاء به الرسول مما يخالفه.) أ.هـ

* فقال الكثيرون أن الإمام ابن تيمية يعذر المشركين بالجهل .
* وقال آخرون بل يكفرهم ولكن بعد البيان وأما قبل البيان فمسلمون عنده.
* وأشكال هذا القول على آخرين مما دفعهم إلى تخطئة الإمام ابن تيمية في هذه المقالة بل وذهب شاذون منهم إلى تكفيره بمثل ذلك.

والحق أن شيخ الإسلام ابن تيمية برئ مما نسبه كل هؤلاء إليه جميعهم بلا استثناء تقولوا على شيخ الإسلام ما لم يقله وأسندوا ’ليه لم يذهب إليه .

وقد كان ذلك نتيجة طبيعية وحتمية للتعامل مع كلمات العلماء :
– بلا أصول العلم التي يبني عليها العلماء حديثهم وكلماتهم .
– وبلا أصول الأدب والتي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم مع معلمه .
ذلك أن الإمام ابن تيمية رحمه الله يذكر في صريح لفظه عن هذه الأعمال الشركية :
( أن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ).
ومن المقطوع به المجمع عليه عند أئمة العلم والهدى أن هذه الأمور والتي ذكرها الإمام ابن تيمية في مقالته وذكر أنها من الشرك بالله الذي حرمه الله ورسوله وأنها من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام .
بل من المعلوم أن هذا بعينه هو الشرك الذي قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكون الدين كله لله. وقد أفاض كتاب ( مجموعة التوحيد ) نفسه – والذي وردت به مقالة ابن تيمية السالف ذكرها – في بيان ذلك وإثباته بالأدلة القاطعة بما لا يدع مجالاً للشك.
لذا كان إفراد الله عزوجل بالوجدانية في الدعاء والاستغاثة والسجود بل في جميع الشعائر والنسك والحكم والتشريع هو أصل هذا الدين العظيم. مع الولاء على ذلك والبراءة من الشرك وأهله وعداوتهم وتكفيرهم ومن لم يكفرهم , ذلك من جانب.

النقطة المختلف فيها هي حكم الناس المشركين قبل دعوتهم وإقامة الحجة عليهم، وليس الخلاف فيهم مطلقا أو في عملهم إن كان كفرا أم لا، وبالطبع فمن المفروض أن من يعتبر فعلهم واعتقادهم شركا بالله فإنه لا بد أن يكفّرهم قبل الحجة وبعدها، لكن الفرق بين الواقع والمطلوب كبير، فهناك من يقاتلهم أيضا ولا يعتبرهم كفارا، فقد يعتبرهم مرتدين بعد إسلامهم، وإسلامهم عنده ثابت بجهلهم فقط، وردتهم ثبتت بعلمهم بالتوحيد فقط، ومنهم من يقول: هم كفار عموما ومسلمون أفرادا، ولا يمكن أن نوفق بين اعتقاده بأن فعلهم كفر واعتقاده بأنهم مسلمون، لكن هذا واقعه الذي لا يصح أن نتصرف فيه، وإنما نحكم عليه ثم نعمل على تغييره.
فالنقاط الخلافية هي تفاصيل لا تُرَد بالعموميات، ولا يصح أن نجعل من هذه العموميات مرتكزات ننطلق منها لإبطال التفاصيل.

ومن جانب آخر ما يتعلق بإظهار هذا الأصل والدعوة إليه : فإنه يختلف باختلاف كل حالة : فهناك المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة, وهناك الممكنون الظاهرون, وبينهما درجات وفق ظروف وإمكانات كل حالة على حدة.
ودائماً ما يمر الداعية بمراحل من حياته يجد نفسه وحيداً في فترات دعوته الأولى يضطر معها إلى كثير من الترفق في أمور ما كان بترفق بها في حالة تمكنه. وهذا الذي نشير إليه ليس بنظرة شخصية أو فكرة محض الخيال ولكنه توجيه عظيم أصله في القرآن الكريم فتجد المولى تبارك وتعالى يأمر موسى وهارون في أول دعوتهما : " اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له ليناً لعله يتذكر أو يخشى " طه 43 – 44.
وهو نفسه ما كان عليه الرسول صلوات الله وتسليماته عليه في دعوته بمكة.
حيث قال الله تعالى له : " وجادلهم بالتي هي أحسن " الآية .
ثم في المدينة وبعد توطد الأمر واستتبابه له يقول له المولى تبارك وتعالى :
" يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ".
فالداعية في حال غربته ووحدته له أسلوب الرفق واللين في توجيه الدعوة على نحو يختلف عن حالة تمكنه ووجود من يتبعه على الاضطلاع بإقامة دين الله في الأرض وفرضه على المخالفين.
وهذا المعني هو الذي صرح به مصنف الرسالة والذي أورد مقالة الإمام ابن تيمية حيث قال بعد أن ذكرها: ( قلت: فذكر رحمه الله ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة إلا بعد البيان والإصرار, فإنه قد صار أمة واحدة, ولأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال ) أ.هـ
أنظر, فإن ابن تيمية كان أمة وحده لغربته, ولأن من علماء عصره من كفره بنهيه للناس عن الشرك في العبادة فلم يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال.
ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى أن ذلك نفسه ما كان من الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بدء دعوته فقال :

( كما جرى لشيخنا بن عبد الوهاب رحمه الله في ابتداء دعوته فإنه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال : الله خير من زيد, تمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام نظراً إلى المصلحة وعدم النفرة. ) أ.هـ

فهل بعد هذا الوضوح وضوح مع انه رحمه الله بعد أن مكن له أصبح يقاتلهم على نفس هذه الأفعال التي كان يترفق بهم في بدء دعوته.

وفي مثل هذا يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله :

( إن التلطف في دعوة الناس ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعية لا في الحقيقة التي يبلغهم إياها. إن الحقيقة يجب أن تبلغ إليهم كاملة. أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة. ) أ.هـ (1).

إذا ينبغي أن يكون واضحاً الفرق بين :

- أصل الدعوة وحقيقتها وهي التوحيد ونفي الشرك والبراءة من أهله .
- والأسلوب الذي تبلغ به الدعوة وهو يختلف وفق المقتضيات القائمة.

وعن أصل الدعوة يقول ابن تيمية في مقالته محل حديثنا عن أفعالهم :

( أن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ).

وعن أسلوب تبليغ هذا الأصل يقول :

( لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه ).

أي لم يمكن مواجهتهم مصارحتهم بكفرهم لأنه كان وحده ولأن من علماء عصره من كفره بنهيه لهم عن الشرك – وذلك تأسياً بالمنهاج الشرعي في مثل هذا الموقف من الوحدة والغربة :

" اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً ليناً " .

نتفق على أن مصلحة الدعوة تقتضي اتقاء التنفير رجاء الإستجابة وهذا أثناء مخاطبتهم، بينما الحقيقة التي نؤمن بها تبقى على حالها.

فيجب أولا أن ينحصر الأمر في حال مخاطبة المدعوين، ونحن نلاحظ أنه قال: لجهلهم لم يمكن تكفيرهم إلا بعد الحجة، وعدم التكفير هو الإعتقاد بإسلامهم في ظاهر اللفظ، كما يستدل علينا علماء المشركين باتقاء التنفير أثناء تحذيرهم من التكفير، ولم يقل: لجهلهم لم يمكن مخاطبتهم بالتكفير ومصارحتهم به.

فما معنى ربط التكفير بإقامة الحجة في قوله: (إن التوحيد يقتضي نفي الشرك والبراءة منه ومعاداة أهله وتكفيرهم مع قيام الحجة)، هل يعقل أن يكون حديثه هنا عن التصريح بالتكفير للجهال؟ أم أنه يتحدث عن الأركان التي يقوم عليها التوحيد حقيقة؟

ويلزم أيضا عدم التصريح لهم بخلاف ما نعتقده فيهم، فالمعروف عن هؤلاء العلماء بالخصوص أنهم صرحوا بإسلام المشركين، وهذا لا مبرر له في أي حال كانوا عليها، لأنه كفر لا يعذر فيه إلا المكره، وقد أوردوا في كلامهم تسميتهم المشركين بالمسلمين.

وقد تصدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لبيان موقف الإمام ابن تيمية رحمه الله في مسألة تكفير المعين ممن ارتكب شرك أكبر, في رسالته الشهيرة ( مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد ), والتي أورد فيها عشرات المقالات لشيخ الإسلام في هذا الشأن ويعقب عليها بقوله : ( هذا الذي ينسب إليه أعداء الدين عدم تكفير المعين ) فليرجع إليها فإنها نافعة هامة ومفيدة جداً بفضل الله.

لقد كان محمد بن عبد الوهاب يرد على من تركوا تكفير المعين مطلقا سواء قبل الحجة أو بعدها لمجرد التلفظ بالشهادة، ولم يكن يناقش من تركوا تكفير الجاهل التي هي نقطة الخلاف، فالواجب بالتحديد هو بيان معتقده في جهال هذه الأمة الذين لم تقم عليهم الحجة.

ثانياً : ما أورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال :

( لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر.فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير لما أنزل الله فهو كلفر. فإنه ما من أمة إلا تأمر بالحكم بالعدل , وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم, بل كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله , كسواليف البادية وكانوا هم الأمراء المطاعين ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر. فإن كثيراً من الناس أسلوا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون,

فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله , فلم يلتزموا بذلك , بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهو كفار. ) أ.هـ (2).

وقد تضمنت مقالة ابن تيمية السالفة أموراً محددة :

1- مبدأ عاماً : وهو أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر. ونفي الشك عن هذا المبدأ العم بقوله ( لا ريب ) إشارة إلى استقرار هذا المبدأ العم وثبوته.

2- طبقة الحكام والأمراء المطاعين : حيث قال : ( بل كثير من ينتسبون إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية وكانوا هم الأمراء المطاعين ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر. ) فالحديث عن الأمراء المطاعين الذين يحكمون بعاداتهم ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة, ثم قال : وهذا هو الكفر.

---

(1) طريق الدعوة في ظلال القرآن. جـ1 صـ 92.

(2) ابن تيمية الفتاوى, مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة صـ .278

3- ثم يشير إلى طبقة المحكومين فيقول : ( فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون, فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله , فلم يلتزموا بذلك, بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار.).

وهذا الجزء من حديث شيخ الإسلام ابن تيمية هو الذي أشكل على أدعياء العذر بالجهل, والحق أن كلمات ابن تيمية رحمه الله ينبغي أن يكون من خلال معرفة الواقع الذي يتحدث عنه , ذلك أنه من المعلوم أن فتوى العالم ترتبط بأمرين :

أولاً – الدليل الشرعي .

ثانياً – الواقع المخاطب به هذا الدليل.

فمراعاة الواقع شرط في فهم فتوى العالم أو الإمام وحتى لا نضع كلمات في غير موضعها, وابن تيمية رحمه الله يحدثنا عن واقع عاشه أو عاشته البلاد من حوله في القرن السادس الهجري , حيث الخلافة الإسلامية, والحكم بشريعة الإسلام هو الأصل الذي تقوم عليه الحكومات والفصل في الخصومات .. ثم ظهور تدني كثير من أهل العلم في الإفتاء بالأقوال الضعيفة والشاذة وتتبع الرخص في المذاهب وظهور الحيل, وأسموها بالحيل الشرعية للتحايل على الأحكام, مما هو مشهور في مواضعه في المصنفات التي أنكرت مثل هذا الواقع ومثل هذه التصرفات(1) مما نشأ عن ذلك ظهور كثير من الأعراف والعادات المخالفة لأحكام الشرع الحنيف والتي تعاطاها الناس وتحاكموا إليها بصفتها دين الله ورسوله في زعمهم , خاصة وأنه يفتي بذلك المفتين ويحكم بها الأمراء المطاعين .

هذا مثال عن التصرف في المعطيات، فابن تيمية لم يكن يتكلم عن هذا إلا إذا وجد ما يشير إلى ذلك، ولم يكن كلامه مجملا حتى يمكن تفصيله بهذه الطريقة، وإنما صرّح بأن المحكوم به هو عادات البادية، ومن المعروف أن هذه العادات تنشأ في بيئة الجهل طبقا للأعراف القبلية السائدة، مثل عدم توريث البنات مثلا، وليست مجرد حيل، تُخالف بها الأحكام هنا وهناك مع وجود الأصل كشرع عام.

فعن هؤلاء وفي هؤلاء قال ابن تيمية :

( فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون, فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله , فلم يلتزموا بذلك, بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار)

فالشرط البيان لهم حيث يحكمون العادات الجارية على أنها دين الله فلم يرغبوا عن دين الله إلى غيره من الشرائع الأجنبية أو الطاغوتية.

لم يقل أنهم أسلموا وجهلوا حكم الله فحكموا بغيره ظنا أنه حكم الله، وأنه يجب أن نعرّفهم بحكم الله، وإنما بيّن أنهم أسلموا ولم يعلموا أنه يجب الحكم بشرع الله دون غيره، فإسلامهم ثابت مسبقا دون تحقيق ذلك، حتى إذا عرفوا وجوب ذلك ولم يلتزموا به كفروا بعد البيان، أما إن كانوا جهالا بوجوب تحكيم شرع الله فلا يكفرون عنده.

أما عن الواقع الذي يحكم بغير ما أنزل الله عزوجل ويستبدل بشريعة الله شريعة الفرنسيــون والعلمانيــون ويعلم الصغير والكبير أن شريعة الله معطلة ولا يتحاكم إليها بل ويضطهد من يطالب بحكمها ويسجن ويشرد بل ويدان من جميع الأوساط الإجتماعية رسمية أو شعبية, فهذا بالتأكيد ليس بالواقع الذي قصده ابن تيمية بحديثه أو عناه , بل أن مثل هذا الواقع قد أفتى ابن تيمية رحمه الله بكفره ووجوب قتاله (2) وأفتى بذلك أيضاً تلامذة الإمام.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى :

" أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون " المائدة 50.

( ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير, الناهي عن كل شر, وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله , كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم , وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم ( جنكيز خان ) الذي لهم ( الياسق ) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام (3) أخذها من مجرد نظره وهواه , فصارت في بنية شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير.) أ.هـ (4)

ما الفرق بين سواليف البادية وشرائع جنكيز خان؟ ولكن يبدو أن الكفر يظهر عندما يكون مستوردا من الأمم الأخرى.

أما اضطهاد من يريد أن يحتكم إلى شرع الله فهو زيادة في الكفر.

---

(1) من ذلك إعلام الموقعين . لبن القيم رحمه الله.

(2) يراجع فتوى التتار وحكم من بدل شرائع الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(3) وهو الأمر الواقع الآن في وقتنا المعاصر.

(4) تفسير ابن كثير الآية 50 من سورة المائدة.

ثالثاً : ما نقل عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنه كتب :

( .. وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي عند قبر عبد القادر , والصنم الذي على قبر أحمد البدوي , وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم , فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ؟ ولم يكفر ولم يقاتل ؟ ) أ.هـ

فنقول : نحن والحمد لله لسنا نجمع الحطب بليل ..

قال ابن القيم رحمه الله , تحت عنوان ( نهي الأئمة عن تقليدهم ):

( وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم , وذموا من أخذ أقوالهم بغير حجة, فقال الشافعي : مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل بليل, يحمل حزمه حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري . ذكره البيهقي . ) (1).

وقال : ( قال بشر بن الوليد : قال أبو يوسف : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا .) (2).

ولذا فمن المعلوم أن الواجب على كل مسلم أن يأخذ الحق بدليله , وأن يدع التعصب والتقليد جانباً.

لذا فهذا القول المشبوه المنسوب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يجده مؤيداً بالدليل والبرهان , بل الوارد في الذكر الحكيم وسنة المرسلين على خلافه, حيث قال تعالى عن إبراهيم مع قومه المشركين :

" واتل عليهم نبأ إبراهيم. إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ". الشعراء 69-74.

وقال تعالى في سورة الأنبياء :

" إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدون. قال لقد كنتم أنتم وآباءكم في ظلال مبين ". الأنبياء 52-54.

وقد علم بالضرورة أن هؤلاء القوم المشركين الأولين قد كفرهم الله ورسوله بتعلقهم بالأصنام , بل يتقربوا بها إلى الله زلفى وهي عقيدة المشركين اليوم .

* فإذا كنا قد نهينا أن نعارض القرآن الكريم بالقرآن أو أن يعارض القرآن بالسنة .بل إن قوله تعالى:

" الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه " الزمر 18.

قال فيه المفسرون :

( يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن. وقيل يستمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون أحسنه أي محكمه فيعملون به .) (3).

لذا كان معارضة هذين الأصلين العظيمين – القرآن والسنة – بغيرهما محذور من باب أولى , قال ابن عباس رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله , وتقولون : قال أبو بكر وعمر(4).

فإذا كان معارضة القرآن والسنة بأقوال الصحابة ومن هم خير القرون محذور فكيف بمن سواهم من أفراد الأمة قل أو كثر ؟.

لذا فإذا كان قد تقرر أثلاً عاماً بالقرآن والسنة في قضية الجهل هذه , وهل بعد عذراً أم لا – وكما سبق بيانه – فلا يحل معارضة بقول فلان أو علان .

قال ابن مسعود رحمه الله : ( لا يقلدن أحدكم رجلاً , إن آمن أمن , وإن كفر كفر, فإنه لا أسوة في الشر ) (5).

هذا من جانب .

ومن جانب آخر – فإن قيل فكيف تفسر كلمات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ وهل تكفرون بها ؟.

قلنا أن للعلم أهل وأصول , وآداب يعرف بها , وله معالم ومنارات تميزه عن غيره.

" ليميز الله الخبيث من الطيب ".

والقارئ لكتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسالاته , والمطلع على دعوته ومناهجه , لعلم أن هذه الكلمات المنسوبة إليه تعارض معارضة صارخة :

أولاً : لمنهاجه. ثانياً: لدعوته.

---

(1) ابن القيم. صـــ200 – 201.

(2) إعلام الموقعين

(3) القرطبي في تفسير الآية 18 من سورة الزمر.

(4) – مجموعة التوحيد صـــ163

(5) من رسالة نجاة السول من السيف المسلول.

– ذلك أن منهاجه أنه ما من معنى أراد بيانه إلا واستدل عليه بالعديد من الأدلة الصحيحة الصريحة من القرآن والسنة, أما هذا النقل تحديداً فلم يرد عليه دليل.

– وأما بالنسبة لدعوة من أولها إلى أخرها فكانت على نقيض ذلك حتى عرف عنه العالم والعاصي والقاسي والداني أنه أنكر عبادة القبور وكفر أهلها وحاربهم حتى إنك لتعلم ذلك من أفواه أصحاب الطرق الصوفية حيث يسمون من ينكر عليهم ( وهابي ) وقد أورد العديد من الفقرات في رسالاته وكتاباته بإنكار عبادة القبور والأضرحة والأصنام وتكفير أهلها ووجوب عداوتهم , ويكفى للوقوف على ذلك أن أحيلك أيها القارئ الكريم لبعض رسالاته الشهيرة ومنها :

– رسالة كشف الشبهات في التوحيد .

– ورسالة مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد .

وغير ذلك من كتابات الشيخ رحمه الله , والذي أفاض فيهم البيان بالأدلة الواضحة الصريحة بكفر عباد القبور , ووجوب عداوتهم , ودعوتهم للإسلام من جديد .

وننقل من كتاباته – على سبيل المثال لا الحصر – قوله في ذلك :

( لكن المشركين في زماننا أضل من الكفار الذين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين :

أحدهما : أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة في الرخاء , وأما في الشدائد فيخلصون لله الدين كما قال تعالى: " وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه " الآية .

والثاني : أن مشركي زماننا يدعون أناساً لا يوازنون عيسى والملائكة. ) أ.هـ (1). ويقول مؤيداً ومستدلاً بما نقل عن ابن تيمية رحمه الله :

( فإذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مرق منه – مع عبادته العظيمة – فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين وذلك بأمور منها : الغلو الذي ذمه الله مثل : الغلو في عدي بن مسافر أو غيره بل الغلو في علي بن أبي طالب, بل الغلو في المسيح , ونحوه , فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجل صالح , وجعل فيه نوعاً من الألوهية , مثل أن يقول : يا سيدي فلان أغثني أو أنا في حسبك ونحو هذا فهذا كافر يستتاب, فإن تاب وإلا قتل .) أ.هـ (2).فهل هذا الذي وصف صاحبه بأنه كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل يختلف عمن عبد الصنم الذي عند قبر عبد القادر أو البدوي ؟.

فأي المقالتين أولى بالتصديق عن الشيخ رحمه الله , خاصة وأن النقل المشبوه غير مؤيد بدليل, والنقولات الأخرى عن الشيخ قد أفرد لها من الأدلة من القرآن والسنة ونقولات عن الأئمة ما يطول وصفه ..

هذا خارج عن نقطة الخلاف وهي تكفير الجاهل قبل دعوته، فهو هنا يتحدث عن حكم الفعل وحكم الفاعل الذي بلغته الحجة، وليس هناك تعارض بين المقالتين، ومن ينظر إلى الواقع يعلم أنه وقع الجمع بينهما، وإن كان دين الله لا يقبل ذلك.

اسمع ما يقوله الشيخ عن عبادة هذه الأصنام والسدنة (3) الذين يزينون لهم ذلك :

( إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل ( الخرج ) وغيرهم

- مشهورون عند الخاص والعام بذلك , وأنهم يترشحون له , ويأمرون به الناس – كلهم كفار مرتدون عن الإسلام ومن جادل عنهم , أو أنكر على من كفرهم أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلاً فلا يخرجهم إلى الكفر – فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق , لا يقبل خطه ولا شهادته ولا يصلي خلفه, بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم. كما قال تعالى " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى " . ) أ.هـ (4).

كيف يكون هؤلاء الذين سماهم بالطواغيت ومن جادل عنهم مرتدين عن الإسلام؟ لا شك أن المطلوب هو الإعتقاد بكفرهم كفرا أصليا، والإعتقاد بردتهم يعني أنهم كانوا مسلمين أصلا قبل دعوتهم.

ويقول الشيخ مجدد الإسلام رحمه الله عن شهادة لا إله إلا الله :

( .. وهي كلمة التوحيد, وحق الله على العبيد , فمن أشرك مخلوقاً فيها من ملك مقرب أو نبي مرسل أو ولي أو صحابي , وغيره أو صاحب قبر , أو جنيٍّ أو غيره أو استغاث به , أو استعان به فيما لا يطلب إلا من الله , أو نذر أو ذبح له أو توكل عليه ,أو رجاه أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة, أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته أو لجلب نفع أو كشف ضر فقد كفر كفر عباد الأصنام القائلين : " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ". القائلين : " هؤلاء شفعائنا عند الله ". كما ذكر الله عنهم في كتابه. وهم مخلدون في النار – وإن صاموا وصلوا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار – كما قال تعالى :

" إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " الآية وغيرها من الآيات .. ). أ.هـ (5).

---

(1) تاريخ نجد. من رسائل الشيخ صـ 244.

(2) تاريخ نجد صـ 278.

(3) أي علماء السوء في زمانه.

(4) تاريخ نجد – من رسائل الشيخ صـ 310 – 311.

(5) السابق صـ 314.

والمنقولات من كلمات الشيخ في هذا المعني كثيرة وتطول ونكتفي بهذا القدر منها, ثم نقول للمتبع ما تشابه من ابتغاء الفتنة :

فهذه كلمات الشيخ المقررة المتكررة في مواضع شتى , في رسائل شتى , المستدل عليها بقرآن الله تبارك وتعالى , وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام , وأقوال الأئمة الأعلام ,فكيف نترك ذلك المحكم الجلي إلى قول مشبوه لا يقبل أن يقال من عامي فضلاً عن عالم.

كما وأنه لم يرد عليه دليلاً من قرآن ولا من سنة ولا نقل عن الأئمة .

ثم إذا قال المجادل – فهل تكفرون الشيخ محمد بن عبد الوهاب لهذا القول ؟.

نقول قد سبق وأن بينا أن للعلم أهل , وأصول , وآداب , وأن من آداب العلم حسن الأدب مع العلماء. وحسن الظن بهم وهو ما يملى علينا فرضاً وحتماً أن نظن أن هذه العبارة ليست من كلمات الشيخ محمد بن عبد الوهاب , ومن قرأ للشيخ وعلم منهاجه لعلم ذلك بسهولة ويسر , بل نقطع أنها كلمات دخيلة على كتاباته ليس لها أصل , كيف لا وقد تكرر مثل هذا التحريف في بعض رسائله.
كتب الأستاذ محب الدين الخطيب تعليقاً على إحدى رسائل الشيخ رحمه الله :
( ولا شك أن في الكلام تحريفاً وسقطاً وسبب مثل هذا الغلط والاضطراب في مثل هذه الرسائل المختصرة أن بعض العوام نقلها عن بعض ولم توجد نسخة صحيحة بخط المؤلف أو بعض أولاده العلماء يرجع إليها.) أ.هـ (1)

أن يقع السقط من النساخ فهذا كثير في الكتب القديمة، ولا يعني هذا أنهم يزيدون فقرات مكذوبة، فعلى من ينكر نسبة كلام إلى أحد ما أن يثبت صحة دعواه، لا لأن الكلام مخالف لعقيدته هو، وإلا لما سلِم شيء من الإنكار.

ومن المعلوم أن مثل هذا التحريف لكلمات العلماء والكذب عليهم أمراً وارداً , وهي كلمات غير معصومة من الله تبارك وتعالى , بل كما أن للأنبياء أعداء من المجرمين , فكذلك لورثة الأنبياء أعداء ,قال تعالى :
" وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين , وكفى بربك هادياً ونصيراً " الفرقان 31.
والذي يرجح أن ذلك التحريف قد وقع لبعض رسائل الشيخ وكلماته أنه قد كذب عليه في مثل هذا – في مواقف أخرى – فقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز , وهو من أكابر علماء السعودية الآن :
( يجزمون أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يأكل من ذبائح الذين يدعون زيد بن الخطاب إذا ذكروا عليها اسم الله , فهل هذا صحيح ؟ ).
فأجاب :
( .. ومن زعم أن إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان يأكل من ذبائح أهل نجد وهم يدعون زيد بن الخطاب , فزعم خرص وتخمين ومجرد دعوى لا يشهد لها نقل عنه رحمه الله , بل هي مخالفة لما تشهد به كتبه ومؤلفاته من الحكم على من يدعو غير الله من ملك مقرب أو نبي أو عبد صالح فيما لا يقدر عليه إلا الله :
بأنه مشرك مرتد عن الإسلام . بل شركه أشد من شرك أهل الجاهلية , فالحكم فيه وفي ذبائحه كالحكم فيهم أو أشد .
* وقد أجمع المسلمون على تحريم ذبائح الكفار – غير أهل الكتاب – وإن ذكروا عليها اسم الله , لأن التسمية على الذبيحة نوع من العبادة , فلا تصح إلا مع إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى لقوله سبحانه ك
" ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ". أ.هـ (2)
فماذا بعد الحق إلا الضلال .

أن يكذب عليه فيقال: فعل كذا، يختلف عن التصرف في كتبه التي تناقلتها ذريته جيلا بعد جيل، وكلهم مشايخ إلى زمننا هذا.

فإن أصر المجادل عن المشركين على العناد , فما عندنا نقوله له إلا ما قاله ذلك الحكيم : ( المجادل المدافع يقع في نفسه عند الخوض في الجدال أن لا يقنع بشيء , ومن لا يقنعه إلا أن لا يقنع فما إلى إقناعه سبيل ولو ,
اتفقت عليه الحكماء بكل بينة بل لو اجتمعة عليه بكل معجزة , كما قال تعالى :" ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون " الأنعام 111 ) أ.هـ (3)
هذا ويقول تعالى :" وقد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها, وما أنا عليكم بحفيظ " الأنعام 104.
ويقول تعالى :" بقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون " الزخرف 78.

---

(1) رسالة كشف الشبهات في التوحيد ورسائل أخرى صـ 58 هامش (1) ط. المكتبة السلفية بالقاهرة.

(2) من فتاوى ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز ( مسائل العقيدة وما يلحق بها ) نشر مكتبة التوعية الإسلامية صـــ 59.
(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة صـــ 128.
ويقول تعالى :
" بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون. ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن. بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون " المؤمنون 70 – 71.
اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه , واجعلنا هداة مهديين)انتهي كلام الشيخ حلمي هاشم
والحق أن جميع هذه الشبهات ينادي بها عباد الطواغيت والعذر بالجهل ولم أكن أتوقع محمد سلامي ينادي بها ويكفر بها العلماء الربانيون هداك الله يا شيخ محمد سلامي وبصرك بهذا العيب

لقد احتج المشركون اليوم بأن هؤلاء العلماء يؤمنون بإسلام جاهل الإسلام، وبغض النظر عنهم فإننا إذا استقرأنا حال هؤلاء العلماء المذكورين نجد أنهم بالفعل كما ذُكر عنهم، لكننا نختلف مع هؤلاء المشركين في الحكم، فهم قد اتخذوهم دليلا بحد ذاته على إسلام أمتهم، ونحن نعتبرهم كفارا كأمتهم، ولم نجد ما نستطيع أن نتخذه مبررا لفصلهم عن سائر الأمة، فإن وُجد فالحمد لله وإلا فهم منهم.
أما التصرف في المعطيات فهو ظلم للحقيقة، وقد بالغ البعض في تكلف التبرير للعلماء إلى درجة الإسفاف، فمنهم من يقول أن ابن تيمية لم يكفّر من يذهبون إلى القبور لمجرد دعاء الله عندها أو طلبا للراحة، ومنهم من اعتبر كل ما ورد في كتبهم مما يشير إلى ذلك مدسوسا عليهم، وقد وصل التبرير بالبعض إلى الكفر، فاعتبرهم دليلا على إسلام المشرك الجاهل.

ثامنا يقول الشيخ محمد سلامي
يستفيض في كون هؤلاء الجهال الذين يقعون في الشرك الأكبر – غير مفرق بين من جاءه رسول ومن هو في فترة معتبر أن جميعهم في فترة من الرسل–علي أنهم يمتحنون في الآخرة – في كتاب الملة الغائبة قائلا(فإن عدل الله ينافي التسوية بين الجاهل ومن بلغه العلم والتحذير والإنذار فأصرّ على الكفر، وهو المكذب والجاحد والمعرض والمعاند والظالم والمجرم والمستكبر، ولا يوصف بهذه الصفات إلا من بلغته الحجّة دون من لم تبلغه.
فلا يكذّب الإنسان الخبر إلاّ إذا بلغه وعرفه، وأما إن اعتقد خلافه دون أن يصل إلى سمعه فلا يسمىّ مكذبا به، ولا يجحد إلا ما وصل إلى علمه، ولا يعرض ويصدّ بوجهه ويصعّر خدّه عن شيء إلا إذا رآه، فإن لم يره وتجنّبه عن غير عمد فلا يسمّى معرضا، ولا يكون ظالما أو مجرما بكفره وهو جاهل، وكذا لا يعاند أو يستكبر عن شيء لم يكن على باله.
هذا ما يقتضيه المنطق السليم ويدركه كل من يتّبع آي القرآن الكريم دون أن يفصل الآية عن سياقها الذي جاءت فيه، فإنه يلاحظ أن المعذّبين يوم القيامة بالنّار هم الذين اتّصفوا بهذه الصفات أو ما شابهها.
وقد ترد صفة النسيان والغفلة كهذه المعاني فيمن غفل ونسي الحجّة التي بلغته إرادة منه لذلك، وهو إعراض وتغافل وتناس، كقوله - عزّ وجل - : « وَلاَ تَكُونُوا كَالذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ » (الحشر : 19)، وقوله : « ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ » (الأعراف : 146).
فالآيات والأحاديث التي تفيد أن كل من أشرك فهو في النار دون تحديد الجاهل من المكذب محمولة على المكذبين الذين كان الصّراع يدور معهم، وخاطبهم الله - عز وجل - بالتوحيد، فلم يخاطب مشركي ما قبل البعثة، كقوله - تعالى - : « إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ » (المائدة : 72).
وأما قول النبيّ - صلى الله عليه وسلم - : « وأما الكافر فيقولان له : من ربّك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري، قال : فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري، قال : فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النّار » (رواه أحمد وأبو داود والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي).
فبيّن أن هذا المعذّب كان كاذبا في قوله : لا أدري، ولم يبيّن حالة من لا يدري حقّا بوجود دين الله، كما لم يبيّن حالة المؤمن الذي يرتكب الكبائر ويدخل النار ثم يعود إلى الجنّة، ولا بدّ أن نسكت عمّا سكت الله عنه.
وهذا حتى لا نفهم النصوص متناقضة، فإن هناك آيات عديدة تؤكّد أن الكفار الداخلين للنار لم يكونوا جاهلين في الدنيا لدين التوحيد، كقول الله - تعالى - : « وَلِلذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيرُ »

(الملك : 6) فإلى هنا لم يبيّن إن كانوا ممّن بلغهم الدين أم لا، حتى قال : « كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا » (الملك : 8/9).
فهذا الجزء الأخير من الآيات قيّد ما أطلقته التي قبلها، فأثبت أنّ كلّ من يلقى في جهنّم بلغته الحجّة فكذّبها، وكذا قول الله - تعالى - : «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى الذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى » (الليل : 14/16)، فنفى أن يصلى النار غير الأشقى، وهو المكذّب المتولّي، وهو المعرض كقولنا : المتولّي يوم الزحف، وقد يصدّق بالدين ويتولى عن العمل به واتباعه.
فعلى ضوء هذه النصوص تفهم النصوص الأخرى التي أطلقت الحكم بالعذاب على الكفار دون أن تخصّ من بلغته النذارة ممّن لم تبلغه، كما روى أنس أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : « في النار » قال : فلما قفا دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار » (رواه مسلم). فالرجل سأل عن أبيه ولا يعمّم دخول والده ووالد النبي - صلى الله عليه وسلم - النار على كل من عاش في الفترة الجاهلية التي عاشها العرب قبل الإسلام.
فقد أخبر في حديث آخر أن أهل الفترات التي خلت من الرسالة ولم يبلغ الإسلام أهلها لا هم من أهل الجنّة لأنّهم أشركوا بالله ولا هم من أهل النار، واقتضى عدل الله ألاّ يعذّبهم كالجاحدين، فيؤتي كل ذي حق حقّه، ولذلك أقام لمثقال ذرّة من الخير أو الشرّ وزنها وجعل لها جزاء.
فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما » وفي رواية أبي هريرة : « فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما فعن الأسود بن سريع أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : (أربعة يحتجّون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول : ربّ قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول : رب قد جاء الإسلام والصّبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول : ربّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفترة فيقول : ربّ ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، ، ومن لم يدخلها يسحب إليها) (رواه أحمد وأبو يعلى وابن راهويه والبزار بسند صحيح والطبراني وابن حبان وصحّحه البيهقي والحافظ عبد الحق وعلي بن المديني وابن حجر وابن عبد البر والألباني وهو من روايات وطرق عدّة منها الصحيح والحسن والضعيف).
فهذا الحديث يوضّح ما لم تحدّده النصوص الأخرى، فبين فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أهل الفترات التي انقطع عن أهلها العلم بالإسلام يضعهم الله - عزّ وجلّ - أمام امتحان جديد، بعد أن قبل عذرهم وهو عدم بلوغ العلم، فيأخذ منهم عهدا بالطاعة إن أمرهم وقد رأوا يوم الحساب رأي العين، فيرسل إليهم يأمرهم بدخول النار، فمن أطاعه كانت عليه بردا وسلاما وكان من أهل الجنة، ومن عصاه استحقّ النار فعلا.
وعلى هذا فإن الرجل الذي سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - يكون مصير أبيه في النار بعد الإمتحان، وكذا والد النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن أعلمه الله - بعلمه الغيب - عن مصيرهما، كما كان يبشر بعض الناس بالجنة أو النار قبل موتهم، ولا يصح تعميم حالتيهما على كل من مات قبل الإسلام، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال أيضا أن منهم من يدخل الجنّة، ومنهم من يدخل النار بعد الإمتحان.
وأما الأدلة على تعذيب الكافر الجاهل فلا نجد فيها ما يصحّ، مع مخالفتها لروح الشريعة والنصوص الثابتة، إلا ما يكون من نسج مخيّلة القصّاص والوضّاعين.
كحديث عامر بن سعيد عن أبيه أنّ أعرابيا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « إن أبي كان يصل الرحم وكان فأين هو ؟ قال : في النار، فكأن الأعرابي وجد من ذلك فقال : يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : حيثما مررت بقبر كافر فبشّره بالنار » (رواه البيهقي وقال ابن كثير : غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه).
وحديث وفادة لقيط بن عامر المنتفق أنّه سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث طويل إلى أن أجابه عن سبب دخول أهل الجاهلية النار فقال : « ذلك بأن الله بعث في كل سبع أمم - يعني نبيا - فمن عصى نبيّه كان من الضّالين ومن أطاع نبيّه كان من المهتدين » (رواه البيهقي وقال ابن كثير هذا حديث غريب جدا وألفاظه في بعضها نكارة).
وما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة لما خرجت لتعزية أهل ميّت : « لو بلغتيها معهم - أي القبور - ما رأيت الجنّة حتى يراها جدّ أبيك » (رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي وابن حبّان، وهو عن ربيعة بن سيف المغافري وقد ضعفه الرواة وقال البخاري : عنده مناكير).

وروي أن خديجة سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أولادها الذين ماتوا في الشرك فقال : « إن شئت أسمعتك تضاغيهم » (قال ابن حزم : ساقط مطروح لم يروه من فيه خير).

وفي حديث آخر أنّه قال لها : « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » قالت : يا رسول الله فولدي منك ؟ قال : « إن المؤمنين وأولادهم في الجنّة وإن المشركين وأولادهم في النار » (رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه عن طريق محمد بن عثمان عن زاذان عن علي، قال ابن القيم : محمد بن عثمان مجهول وزاذان لم يدرك عليا، وفي حديث آخر عن عائشة شبيه به عن يحيى بن المتوكّل قال ابن القيم : لا يحتجّ بحديثه فهو غاية في الضعف).

وأما قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (رواه مسلم وأحمد) فإن اليهود والنصارى الذين وجدوا في كتبهم ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي سيبعث وصفته ثم لمّا بعث كفروا به حسدا من عند أنفسهم لأنّه عربي أو غير ذلك هم في النار، ومن لم يعلم منهم بتبشير الأنبياء بمحمد - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في التوراة والإنجيل فهو جاهل كغيره من كفار الأمم الأخرى، وإذا حرّفت صفته فلم يعرف أنّه النبي الذي بشّر به فلا يعذب.

ولا يصحّ الحكم بهذا الحديث على تعذيب هذه الأمة التي تتسمّى بالمسلمة لأنها جهلت فحوى رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم تكذّبها، وظنّ أهلها أنهم يعملون بها وأنهم من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ويجهلون ما كفروا بــه، ولهذا لا يعذّبون، وأمّة محمّد - صلى الله عليه وسلم - قد ترد بمعنى أمّة الإجابة التي آمنت بالدين الذي أرسل به، أو أمة الدعوة وهي التي أرسل إليها إلى يوم القيامة.

وروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم : « ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فنزلت هذه الآية : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ » (البقرة : *119*) (رواه عبد الرزاق وفي سنده موسى بن عبيدة وقد تكلّموا فيه، ورواه ابن جرير من طريق ومتن آخرين، قال ابن كثير : هو مرسل).ا هـــ

ويقول أيضا في كتاب فضائح المشركين

(إن الله حرم الجنة على من أشرك بالله جاهلا كان أو عالما، ولا يدخلها من يشرك بالله بمجرد قول تلك الكلمة التي لم تمنعه من الشرك فهو غير موحد، فإن ظن علماء المشركين أن جاهل التوحيد قد يخرج من النار، أو يدخل الجنة مباشرة، أو تنفعه شفاعة الشافعين، فبئس والله ما يظنون وما يعتقدون.

عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: (أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ قال: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار) [رواه مسلم]).

ونحن نعتقد –كما جاء به النص– أن الجاهل ليس من أهل الجنة لعدم تحقيقه التوحيد، ولا من أهل النار لعدم قيام الحجة، وإنما يمتحن يوم القيامة فيصير بعدها إلى الجنة أو إلى النار، لكن الداهية أن الألباني قد ابتدع أمرا آخر، وهو قوله أن الجاهل مسلم، لكن يمتحن يوم القيامة، ومعلوم أن الذي يمتحن هو الكافر الجاهل.) ا هـــ

الـــــــــــــــــرد

والحق ما قاله الرسول صلي الله عليه وسلم

لا ما قاله الألباني ولا ما قاله محمد سلامي

فقد أخرج أحمد . وابن راهويه . وابن مردويه . والبيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً وأما الأحمق فيقول : رب جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول فيأخذ سبحانه مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها سحب إليها » . وأخرج قاسم بن أصبغ . والبزار . وأبو يعلى . وابن عبد البر في التمهيد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى يوم القيامة بأربعة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الهرم الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من جهنم : أبرزي ويقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم فيقول لهم : ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء : يا رب أتدخلناها ومنها كنا نفر وأما من كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها فيقول الرب تعالى : قد عاينتموني فعصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار » إلى غير ذلك من الأخبار

فهل فهم الشيخ محمد سلامي أن الذي مات في فترة والذي يقول ما أتاني لك رسول أن هذا هو الجاهل من الأمم التي أرسل إليهم الرسل ولكن أشركوا عن جهل منهم بالشرك يا شيخ محمد سلامي لقد غيرت وبدلت وحرفت ونسيت ما قلته من أن أهل الفترة هم (أهل الفترات التي خلت من الرسالة ولم يبلغ الإسلام أهلها) وهل نحن في فترة بين رسولين وننتظر بعد محمد رسول وهل نحن ما وصلنا بلاغ الرسول وبلاغ القرآن أين أنت من قول الله تعالى (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19) [الأنعام/19]

القاعدة التي يقر بها كل منصف في الدنيا أن جاهل التكليف غير مؤاخذ على عدم التنفيذ، ولا يعامل معاملة تارك التكليف عمدا، هذا هو العدل، ولا ننسب إلى الله عز وجل ما ينافي العدل.
إن وجود الرسول والرسالة لا يغير شيئا من حقيقة جهل الجاهل، وهو لا يدري بوجود هذه الرسالة، فلا فرق بينه وبين من عاش في فترة من الرسل، والعلة التي جعلت من عاش في الفترة حقيقا بالإمتحان يوم القيامة هي نفسها عند من عاش في هذه الأمة اليوم ولم يبلغه التوحيد على حقيقته، وكل ما بلغه دين مشوّه، فصُوّر له الشرك على أساس أنه قربة إلى الله فاتبعه ظانا بأنه مأمور به شرعا، فهذا لم تبلغه الرسالة.

جاء في تفسير ابن كثير – (ج 3 / ص 245)
{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } أي: وهو نذير لكل من بلغه، كما قال تعالى: { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } [هود: 17].
قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشَجّ، حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب في قوله: { وَمَنْ بَلَغَ } [قال] من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم –زاد أبو خالد: وكلّمه.
ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر، عن محمد بن كعب قال: من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم.
وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة في قوله: { لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "بلغوا عن الله، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلّغه أمر الله".
وقال الربيع بن أنس: حق على من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو كالذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ينذر كالذي أنذر.

بلوغ الرسالة هو بلوغ المعنى لا بلوغ المبنى المفهوم بطريقة خاطئة لعدم التمكن من الفهم الصحيح، ولم نؤمر بتقديم مصحف لأحد ونقول: لقد أبلغناه دعوة الإسلام، لأننا نعلم أنه لن يستطيع استنباط عقيدة التوحيد كاملة من المصحف، ولذلك لم يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم.

وقوله: { أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ } [أي] أيها المشركون { أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ } كما قال تعالى: { فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ } [الأنعام: 150]، { قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ }
ثم قال مخبرًا عن أهل الكتاب: إنهم يعرفون هذا الذي جئتهم به كما يعرفون أبناءهم، بما عندهم من الأخبار والأنباء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء، فإن الرسل كلهم بَشَّروا بوجود محمد صلى الله عليه وسلم وببعثه وصفته، وبلده ومُهَاجَره، وصفة أمتها هـ
ثم بعد ذلك اعتبرت مشركين اليهود والنصاري والذين يدعون الإسلام يختبرون لأنهم أهل فترة

المعنيون بذلك هم أهل الكتاب الذين عرفوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم حقا وأنكروا نبوته، وكثير من أهل الكتاب لم يسمعوا به.
يقول الله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)

الم تقل يا شيخ محمد سلامي((إن أكثر الجاهليات التي قامت على مدار التاريخ إنما استمرت بسبب الجهل بالدين لا مع العلم به، يقول الله –سبحانه وتعالى–: [لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ[]يس: 6]، نرى هذا في إيمان الأفراد وكفرهم، فإن عيسى –صلى الله عليه وسلم– لم يُعبد في حياته، وإنما بعدما رُفع

بزمان زال فيه العلم، فاتخذوه إلها، ودعوا الناس إلى ذلك، فدخل الناس في النصرانية، وهم يجهلون أن الإنجيل الحق دعاهم لعبادة الله وحده.
فالأمم السابقة عادت إلى الجاهلية بطول الأمد، وكانت عودتها تلك عن جهل بدينها، وقد سوّى الله بينها جميعا، فلم يفرق بين العرب واليهود والنصارى والمجوس، أما العرب فإن كتابهم قد زال نهائيا، وأما أهل الكتاب فإن كتبهم مبدلة.
فإننا ندرك من هنا ببساطة أن هذه الأمة إذا جهلت دينها يوما لا فرق بينها وبين تلك الأمم، ولابد أن يلزمنا من الحكم والوعيد أيضا ما لزم تلك الأمم إذا فعلنا فعلهم، فهذه الأمة –لولا أن الله ختم النبوة وحفظ كتابه– بحاجة إلى رسالة جديدة كما كانت الأمم السابقة.
فالأمة المسلمة ليست قالبا ثابتا، كما يظن اليهود في أمتهم، وكما تظن هذه الأمة، فالله يقول: [وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ[]محمد: 38]، أي يكونون هم المسلمين الموعودين بالإستخلاف بدلا منكم، وإن بقيتم أنتم على الأرض.
ويخطئ الحقّ من يؤمن بكفر عابدي اللات والعزى والمسيح عليه السلام، جهلا وظنا منهم أنه الدين الحق الذي أمر الله به، ولا يؤمن بكفر عابدي الأولياء الصالحين جهلا من هذه الأمة، فعامة النصارى كانوا جهالا عندما آمنوا بقول أحبارهم ورهبانهم بألوهية المسيح، واعتقدوا أنه دين الله، فكيف يكون هؤلاء كفارا مع جهلهم وهذه الأمة التي جهلت التوحيد منذ زمان بخلافهم؟! وهل الكفر بالإسلام غير ما تعتقده هذه الأمة وتفعله؟
إن الذي يعتقد أن المشرك الجاهل مسلم فهو كمن يعتقد أن الشرك من الإسلام، ومن لم يميز بين المسلم والكافر فهو لم يميز بين الإسلام والكفر، وقد يجهل المسلم كيفية معاملة الكافر، لكنه لا يجهل الفرق بينهما.)
ويقول أيضا في كتاب الملة الغائبة
(إن هذه الأمة قد ضلّت عن دينها واستسلمت للدين الذي شرعه لها طواغيتها، حتى صار مفهوم الإسلام هو عين الشرك بالله، بسبب الجهل الذي غطّى عقول الناس في مشارق الأرض ومغاربها، رغم وجود الكتاب بينهم، إلاّ أنّهم أوّلوا لهم آياته بما يوافق كفرهم بأنواعه.
وقد نسبوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - الأمر بالكفر وغيره من الضلال، كما نرى في ذلك الكم الهائل من الأحاديث المكذوبة، وزادوا في الدين وبدّلوا كما زاد أحبار اليهود والنصارى ورهبانهم، وكما زاد عمرو بن لحي الخزاعي للعرب، قال النبي - صلى الله عليه وسلم «- رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجرّ قصبه في النار وكان أوّل من سيّب السوائب » (رواه البخاري ومسلم وأحمد) وفي رواية : « وبحّر البحيرة وغيّر دين إسماعيل ».
غير أن هذه الأمّة وإن لم يقدر مشايخها على الإنقاص من الكتاب وتبديله فإنهم اكتفوا بتحريف معناه في كتبهم التي يتدارسونها، ويفهمون الإسلام على ضوئها. )
ويقول أيضا في كتاب الملة الغائبة
(وبعدها نخلص إلى القول بأن عامّة الكفّار الجاهلين من هذه الأمة أو من غيرها معذورون بجهلهم يوم القيامة، فلا يدخلون النار مع الداخلين ممّن بلغتهم الرسالة.
ولم يرد أنّ الله يحتجّ عليهم يوم القيامة بوجوب طلب معرفة الحق وسؤال أهل الذكر إن وجدوا، إنما يحتجّ عليهم بمعرفتهم بالحق الذي جاءهم، فإن الكافر الجاهل غير مكلّف بهذا لعدم وجود الدافع الذي يدفعه إليه وهو الإسلام، وإنما يصحّ هذا الأمر مع المسلم إذ افترض الله عليه طلب علم الكتاب والسنة، وليس هذا الجاهل كالكافر العارف بالدين الذي أمره الله بسؤال أهل الذكر ليتيقّن.
والحجّة التي تبطل العذر تقع بعد بلوغ العلم لا قبله، ولا فرق بين جهال هذه الأمة وغيرهم، فجميعهم لم تبلغهم الرسالة، وإن كان القرآن غير محرّف فإنّ وجوده مع عدم فهمهم له كعدم وجوده، والجاهل إذا سأل أفتي بغير الحق، وأوّلت له نصوص الكتاب والسنّة تأويلا محرّفا، وهو يرى العلماء الذين يظنّ أنّهم يتكلّمون باسم الإسلام على دينه لا يخالفونه، كمن بحث عن الدين الحق من الأمم الأخرى فلم يستطع بلوغه وظنّه غيره.
فسواء من أدّاه عقله إلى البحث ومن عاش وهو يظنّ أنّه على الحق ولا يعتريه أي شك، فلا يبحث لهذا السبب، فلا يستوي هذا الأخير مع من بلغته الحجّة وكذّبها، وليس المقام هنا مقام تفضيل بين من بحث وغيره، لأن الباحث لا يؤجر فغيره لا يعذب، وليس بحثه واجتهاده بالذي منع عنه العذاب، ولكنّه الجهل الذي يشتركان فيه، وأما من شك في كونه على الحق لقرينة ما وتمكّن من معرفة التوحيد ولم يبحث ليتحقق، بل استمرّ على دينه خوفا من الحق فهذا معرض عن معرفة التوحيد، وهو معرض عن التوحيد

يكره سماع الدعوة، وهذا الإعراض لا يخرج المسلم من الإسلام، لأنه لا يكون مسلما أصلا وهو لا يعرف التوحيد، ولكنه يقع من الكفّار)ا هـ

فهل تري إن كل ما ذكرت سيمتحنون ويمكن أن يدخلوا الجنة وإليك بعض الآيات والأحاديث التي تخالف قولك ( أن الجاهل ليس من أهل الجنة لعدم تحقيقه التوحيد، ولا من أهل النار لعدم قيام الحجة، وإنما يمتحن يوم القيامة فيصير بعدها إلى الجنة أو إلى النار، ) ا هـ

وقولك ((وبعدها نخلص إلى القول بأن عامّة الكفار الجاهلين من هذه الأمة أو من غيرها معذورون بجهلهم يوم القيامة، فلا يدخلون النار مع الداخلين ممّن بلغتهم الرسالة.)

عن سعيد بن جُبيْر، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام، { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ }

وهكذا رواه البخاري منفردًا في كتاب "مناقب قريش"

والضلال وعدم العلم هو الجهل مع ذلك يعذبون علية

القتل ظلم معلوم بالفطرة، والإفتراء على الله مثل ذلك وأكبر، ولا يحتاج كلاهما إلى رسالة تحرمهما، فمن يكذب على الله بأنه شرع كذا يختلف عمن ظن أن الله شرعه فعلا واتبعه طاعة لله حسب قصده.

وانظر إلي تفسير قوله تعالي(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) الانعام 100

تفسير ابن كثير – (ج 3 / ص 307)

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا في عبادة الله أن عبدوا الجن، فجعلوهم شركاء الله في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم ا هـ

و تفسير قوله تعالي(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) يونس39

تفسير ابن كثير – (ج 4 / ص 270)

وقوله: { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } يقول: بل كذب هؤلاء بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه، { وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } أي: ولم يُحصّلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفهًا { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } أي: من الأمم السالفة { فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } أي: فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلمًا وعلوا، وكفرا وعنادًا وجهلا فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم.ا ه

وتفسير زاد المسير – (ج 3 / ص 277)

قوله تعالى : { بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه } فيه قولان :

أحدهما : أن المعنى : بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذِكْر الجنة والنار والبعث والجزاء .

والثاني : بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به ، لأنهم شاكّون فيه .

وفي قوله : { ولمَّا يأتهم تأويله } قولان :

أحدهما : تصديق ما وُعدوا به من الوعيد . والتأويل : ما يؤول إليه الأمر .

والثاني : ولم يكن معهم عِلم تأويله ، قاله الزجاج .

قيل لسفيان بن عيينة : يقول الناس : كل إنسان عدوٌ ما جهل ، فقال : هذا في كتاب الله . قيل : أين؟ فقال : { بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه } .

وقيل للحسين بن الفضل : هل تجد في القرآن : من جهل شيئاً عاداه؟ فقال : نعم ، في موضعين . قوله : { بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه } وقوله : { إذْ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم } [ الأحقاف : 11 ] . ا هـ

وأنظر غلي تفسير قوله تعالي (حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84)–النمل84

جاء في تفسير البغوي – (ج 6 / ص 180)

ولم تعرفوها حق معرفتها، { أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } حين لم تفكروا فيها. ومعنى الآية: أكذبتم بآياتي غير عالمين بها، ولم تفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين؟ ا ه

فتح القدير – (ج 5 / ص 380)

{ أَكَذَّبْتُم بآيَاتِي } التي أنزلتها على رسلي ، وأمرتهم بإبلاغها إليكم والحال أنكم { لَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْماً } بل كذبتم بها بادئ بدء جاهلين لها غير ناظرين فيها ، ولا مستدلين على صحتها ، أو بطلانها تمرّداً ، وعناداً ، وجرأة على الله وعلى رسله ، وفي هذا مزيد تقريع وتوبيخ؛ لأن من كذب بشيء ، ولم يحط به علماً فقد كذب في تكذيبه ، ونادي على نفسه بالجهل وعدم الإنصاف ، وسوء الفهم ، وقصور الإدراك ، ومن هذا القبيل من تصدّى لذمّ علم من العلوم الشرعية ، أو لذمّ علم هو مقدّمة من مقدّماتها ، ووسيلة يتوسل بها إليها .ا هـ

الآية تتكلم عمن بلغته الرسالة من عند الله وعرف ذلك وكذّب بها وأنكرها جملة قبل أن يبحث عما جاء فيها تفصيلا، ولم يحط علما بتفاصيلها، لا من لم يسمع بها إطلاقا، أو من بلغته فصدّق بها إجمالا وعلى الغيب وما علمه من تفاصيلها وظن نفسه من أهلها، لا شك أن هناك فرقا شاسعا.
أو تعني من كذّب بما وُعِد به، ولم ير ما وعد به بعد، ولا يحتاج الأمر لوقوع ما وعد به حتى يسمى مكذّبا، بل بمجرّد وصول الخبر إليه، ولا يعقل أن نعتبر من لم يسمع بالخبر مكذّبا به,

وأنظر إلي تفسير قوله تعالي( وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (71 [الحج/-71]
وجاء في تفسير السعدي – (ج 1 / ص 545)
يذكر تعالى حالة المشركين به، العادلين به غيره، وأن حالهم أقبح الحالات، وأنه لا مستند لهم على ما فعلوه، فليس لهم به علم، وإنما هو تقليد تلقوه عن آبائهم الضالين، وقد يكون الإنسان لا علم عنده بما فعله، وهو –في نفس الأمر– له حجة ما علمها، فأخبر هنا، أن الله لم ينزل في ذلك سلطانا، أي: حجة تدل علي وتجوزه، بل قد أنزل البراهين القاطعة على فساده وبطلانه، ثم توعد الظالمين منهم المعاندين للحق فقال: { وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم وحل. وهل لهؤلاء الذين لا علم لهم بما هم عليه قصد في اتباع الآيات والهدى إذا جاءهم؟ أم هم راضون بما هم عليه من الباطل؟ اهـ
وجاء في تنوير المقباس لبن عباس – (ج 1 / ص 354)
{ وَيَعْبُدُونَ } يعني كفار مكة { مِن دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً } كتاباً ولا عذراً { وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ } حجة ولا بيان { وَمَا لِلظَّالِمِينَ } المشركين { مِن نَّصِيرٍ } من مانع من عذاب الله .ا هـ
وجاء في تفسير البغوي – (ج 5 / ص 399)
{ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا } حجة، { وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ } يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم، { وَمَا لِلظَّالِمِينَ } للمشركين، { مِنْ نَصِيرٍ } مانع يمنعهم من عذاب الله.ا هـ
وجاء في تفسير ابن كثير – (ج 5 / ص 453)
يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا، وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا، يعني: حجة وبرهانا، كقوله: { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } [ المؤمنون: 117 ]. ولهذا قال هاهنا: { مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ } أي: ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا حجة، وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم؛ ولهذا توعدهم تعالى بقوله: { وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } أي: من ناصر ينصرهم من الله، فيما يحل بهم من العذاب والنكال.ا هـ
وجاء في تفسير الرازي – (ج 11 / ص 151)
} فبين أن عبادتهم لغير الله تعالى ليست مأخوذة عن دليل سمعي وهو المراد من قوله : { مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ سلطانا } ولا عن دليل عقلي وهو المراد من قوله : { وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ } وإذا لم يكن كذلك فهو عن تقليد أو جهل أو شبهة ، فوجب في كل قول هذا شأنه أن يكون باطلاً ، فمن هذا الوجه يدل على أن الكافر قد يكون كافراً ، وإن لم يعلم كونه كافراً ، ويدل أيضاً على فساد التقليد .ا هـ

ليس في الآية ما يدل على أن الجاهل الذي لم يعلم أنه كافر بالله معذّب، وإنما تتكلم عن الكافر عموما الذي ليس له أدلة ومستندات على كفره، فقوله تعالى: (ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم) تعني عدم امتلاكهم الحجج، فإذا بلغتهم دعوة التوحيد وتركوها كانوا من أهل النار طبقا للنصوص الأخرى.
وسياق الآيات جاء خطابا لمن كانت تتلى عليهم الآيات فكذبوها، قال تعالى: (وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ، اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)

**– وأنظر إلي تفسير قوله تعالي(يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) [الروم/7]**

**جاء في تفسير الطبري – (ج 20 / ص 75)**

يقول تعالى ذكره: يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس، ظاهرا من حياتهم الدنيا، وتدبير معايشهم فيها، وما يصلحهم، وهم عن أمر آخرتهم، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك، غافلون، لا يفكرون فيه. ا هـــ

**وفي تفسير البغوي – (ج 6 / ص 262)**

يعني: أمر معاشهم، كيف يكتسبون ويتجرون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، قال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن يصلي { وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } ساهون عنها جاهلون بها، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها.ا هـــ

الغفلة عن الآخرة لا تعني الجهل بها أو الجهل بوجوب العمل لها، فالغفلة هنا هي الإنشغال بالدنيا وترك الإهتمام بالآخرة، ويقع هذا من المسلم والكافر المكذّب أيضا كما يقع من الكافر الجاهل، وحكم كل ذلك مختلف.

**وأنظر إلي تفسير – قوله تعالي (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) [يس/6]**

**جاء في تفسير البغوي – (ج 7 / ص 8)**

{ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ } ، قيل: "ما" للنفي أي: لم ينذر آباؤهم، لأن قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: "ما" بمعنى الذي، أي: لتنذر قومًا بالذي أنذر آباؤهم، { فَهُمْ غَافِلُونَ } عن الإيمان والرشد. { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ } ، وجب العذاب { عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ } ، هذا كقوله: "ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين" (الزمر–71) .ا ه

**وفي تفسير الألوسي – (ج 16 / ص 427)**

لتنذر { قَوْماً مَّا أُنذِرَ ءابَاؤُهُمْ } أي لم تنذر آباؤهم على ما روي عن قتادة فما نافية والجملة صفة { قَوْماً } مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار ، والمراد بالإنذار الإعلام أو التخويف ومفعوله الثاني محذوف أي عذاباً لقوله تعالى : { إِنَّا أنذرناكم عَذَاباً قريباً } [ النبأ : 0 4 ] والمراد بآبائهم آباؤهم الأدنون وإلا فالأبعدون قد أنذرهم إسماعيل عليه السلام وبلغهم شريعة إبراهيم عليه السلام .

وقد كان منهم من تمسك بشرعه على أتم وجه ثم تراخى الأمر وتطاول المدد فلم يبق من شريعته عليه السلام إلا الاسم . وفي «البحر» الدعاء إلى الله تعالى لم ينقطع عن كل أمة أما بمباشرة من أنبيائهم وأما بنقل إلى وقت بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم والآيات التي تدل على أن قريشاً ما جاءهم نذير معناها لم يباشرهم ولا آباءهم القريبين . وأما أن النذارة انقطعت فلا ، ولما شرعت آثارها تندرس بعث النبي صلى الله عليه وسلم وما ذكره المتكلمون من حال أهل الفترات فهو على حسب الفرض اهـــ .

وعليه فالمعنى ما أنذر آباءهم رسول أي لم يباشرهم بالإنذار لا أنه لم ينذرهم منذر أصلاً فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبي كزيد بن عمرو بن نفيل . وقس بن ساعدة فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى : { وَإِن مّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ } [ فاطر : 4 2 ] وليس في ذلك إنكار الفترة المذكورة في قوله تعالى : { على فَتْرَةٍ مّنَ الرسل } [ المائدة : 19 ] لأنها فترة إرسال وانقطاعها زماناً لا فترة إنذار مطلقاً ، وعن عكرمة { مَا } بمعنى الذي ، وجوز أن تكون موصوفة وهي على الوجهين مفعول ثان لتنذر أي لتنذر قوماً الذي أنذره أو شيئاً أنذره الرسل آباءهم الأبعدين ، وقال ابن عطية : يحتمل أن تكون ما مصدرية فتكون نعتاً لمصدر مؤكد أي لتنذر قوما إنذاراً مثل إنذار الرسل آباءهم الأبعدين ، وقيل هي زائدة وليس بشيء { فَهُمْ غافلون } هو على الوجه الأول متفرع على نفي الإنذار ومتسبب عنه والضمير للفريقين أي لم ينذر آباؤهم فهم جميعاً لأجل ذلك غافلون ، وعلى الأوجه الباقية متعلق بقوله تعالى : { لّتُنذِرَ } أو بما يفيده { إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين } وارد لتعليل إنذاره عليه الصلاة والسلام أو إرساله بغفلتهم المحوجة إليه نحو اسقه فإنه عطشان على أن الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه أي عما أنذر آباؤهم .

وقال الخفاجي : يجوز تعلقه بهذا على الأول أيضاً وتعلقه بقوله تعالى : { لّتُنذِرَ } على الوجوه وجعل الفاء تعليلية والضمير لهم أو لآبائهم اه ، ولا يخفى عليك أن المنساق إلى الذهن ما قرر أولاً .ا هـــ

ليس في الآية ما يدل على أن من لم تقم عليه الحجة معذّب يوم القيامة، وقد حق عليهم العذاب بعد إنذارهم.

وللمذيد انظر كتاب العلم والجهل بلا إله إلا الله الجزء الأول للكاتب تعلم أن جهل التوحيد ممن أرسل إليه رسول بمثابة إعراض من الجاهل وليس هو من أهل الفترات لكونه معذب مع المعذبين في الآخرة

من أرسِل له رسول واتبع ما جاء به مما بلغه وظن أنه من أتباعه كيف يصح أن يقال أنه معرض؟

و انظر إلي تفسير قوله تعالى : { وإن من أمة إلا خلا فيها نذير }
المحرر الوجيز - (ج 5 / ص 370) ابن عطية، أبو محمد (481-541هـ، 1088 - 1146م). أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي، عالم مجاهد وفقيه جليل، عارف بالحديث والتفسير والأحكام. لغوي وأديب.
وقوله تعالى : { وإن من أمة إلا خلا فيها نذير } معناه ان دعوة الله تعالى قد عمت جميع الخلق ، وإن كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته لأن آدم بعث إلى بنيه ثم لم تنقطع النذارة إلى وقت محمد صلى الله عليه وسلم ، والآيات التي تتضمن أن قريشاً لم يأتهم نذير ، معناه نذير مباشر ، وما ذكره المتكلمون من فرض أصحاب الفترات ونحوهم فإنما ذلك بالفرض لا أنه توجد أمة لم تعلم أن في الأرض دعوة إلى عبادة الله ا هـ

سياق الآيات يبين للنبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس أول من كذّب به قومه: (وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22) إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (24) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ)
وكلمة (الأمة) ترد على عدة معاني منها القوم ومنها الفترة الزمنية، وأن تفسّر الآية على أن كل جيل وبالتالي فكل إنسان بلغته الدعوة هذا يتعارض مع قوله تعالى: (لتنذرَ قوما ما أنذِرَ آباؤهم فهم غافلون) ويتعارض مع وجود أهل الفترة ومن يقول: رب ما أتاني لك رسول، والواقع يؤكد وجود هذا الصنف في شتى أصقاع العالم وعلى مر التاريخ.

قوم عاد يجهلون
قال تعالى(وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) [الأحقاف/21-23]
تفسير الرازي - (ج 14 / ص 63)
الثاني : أراكم قوماً تجهلون من حيث إنكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظني أنه قرب الوقت الذي ينزل عليكم العذاب بسبب هذ الجهل المفرط والوقاحة التامة ا هـ

ليس في الآية أن الجاهل معذب، فهود عليه السلام لما نسب إلى قومه الجهل كان يخاطب قوما بلّغهم الدعوة أوّلا، وليس الجهل هنا هو عدم العلم، وإنما هو اتباع الباطل.

يقول بن تيمية رحمه الله في الجزء السابع من الفتاوي ص325
قالوا ولما كان العلم بالله إيمانا والجهل به كفرا وكان العمل بالفرائض إيمانا والجهل بها قبل نزولها ليس بكفر لأن أصحاب رسول الله قد أقروا بالله أول ما بعث الله رسوله إليهم ولم يعلموا الفرائض التي افترضت عليهم بعد ذلك فلم يكن جهلهم بذلك كفرا ثم أنزل الله عليهم الفرائض فكان إقرارهم بها والقيام بها إيمانا وإنما يكفر من جحدها لتكذيبه خبر الله ولو لم يأت خبر من الله ما كان يجهلها كافرا وبعد مجئ الخبر من لم يسمع بالخبر من المسلمين لم يكن بجهلها كافرا والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر ا هـ
ويقول في مجموع الفتاوى ( 20/37-38):

:" وكذلك أخبر عن هود أنه قال لقومه[,,,, إن أنتم إلا مفترون] فجعلهم مفترين قبل أن يحكم بحكم يخالفونه لكونهم جعلوا مع الله إلها آخر .فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة ,فانه يشرك بربه و يعدل به ويجعل معه آلهة أخرى و يجعل له أندادا قبل الرسالة ,ويثبت أن هذه الأسماء مقدم عليها ,كذلك اسم الجهل و الجاهلية,يقال جاهلية و جهلا قبل مجيء الرسول أما التعذيب فلا,و التولي عن الطاعة كقوله:[ فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى] فهذا لا يكون إلا بعد الرسول ." ا هـــ

والدرر السنية ( 136/10–138) حيث قال ابناء الشيخ محمد ، وحمد بن ناصر بن معمر :

" إذا كان يعمل بالكفر والشرك لجهله أو عدم من ينبهه فلا نحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة ، ( ولا نحكم بأنه مسلم ) ... ، ولا يقال : (إن لم يكن كافرا فهو مسلم) بل نقول عمله عمل الكفار وإطلاق الحكم على هذا الشخص بعينه متوقف على بلوغ الحجة " أ.هـــ.

وقال صالح آل الشيخ في شرحه على كشف الشبهات (ص56) :

" فإن المتلبس بالشرك يقال له مشرك سواء أكن عالما أو كان جاهلا ، والحكم عليه بالكفر يتنوع " ا هـــ

وفي فتاوى اللجنة ( 220/1) ط.أولي النهى :

" فالبيان وإقامة الحجة للإعذار إليه قبل إنزال العقوبة به ((( لا ليسمى كافرا بعد البيان )))) فإنه يسمى كافرا بما حدث منه من سجود لغير الله أو نذره قربة أو ذبحه شاة مثلا لغير الله )أ.هـــ

تسمية الجاهل بالمشرك دون الكافر مخالفة لقول الله تعالى: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّينَ حتى تأتيَهمُ البينة)، فهم كفار قبل البينة وبعدها.

يقول الطبري ص 273في تفسير قوله تعالي

"وما يخدَعُون إلا أنفسهم ومَا يشعُرُون"، إعلامًا منه عبادَه المؤمنين أنَّ المنافقين بإساءتهم إلى أنفُسهم في إسخاطهم رَبَّهم بكُفْرهم وشكِّهم وتكذيبهم – غيرُ شاعرين ولا دارين، ولكنهم على عَمْيَاء من أمرهم مُقيمون.

وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله جلّ ثناؤه الزاعمين: أن الله لا يُعذّب من عباده إلا من كفَر به عنادًا، بعد علمه بوحدانيته، وبعد تقرُّر صحة ما عاندَ ربّه تبارك وتعالى عليه من تَوْحيده، والإقرار بكتبه ورُسله – عنده. لأن الله جلّ ثناؤه قد أخبرَ عن الذين وَصفهم بما وصفهم به من النفاق، وخِداعهم إياه والمؤمنين – أنهم لا يشعرون أنهم مُبْطلون فيما هم عليه من الباطل مُقيمون، وأنَّهم بخداعهم – الذي يحسبون أنهم به يُخادعون ربهم وأهلَ الإيمان به – مخدوعون. ثم أخبر تعالى ذكره أنّ لهم عذابًا أليمًا بتكذيبهم بما كانوا يكذّبون من نبوة نبيّه، واعتقاد الكفر به، وبما كانوا يَكذِبون في زعمهم أنهم مؤمنون، وهم على الكفر مُصرُّون ا هـــ.

ويقول الطبري – (ج 1 / ص 289–290)

صفة أهل النفاق: مُفسدون في الأرض بمعصيَتهم فيها ربَّهم، وركوبهم فيها ما نَهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضَه، وشكّهم في دين الله الذي لا يقبَلُ من أحدٍ عملا إلا بالتَّصديق به والإيقان بحقيقته ، وكذبهم المؤمنين بدَعواهم غير ما هم عليه مقيمُون من الشّك والرَيب، وبمظاهرتهم أهلَ التكذيب بالله وكُتُبه ورسله على أولياء الله، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا. فذلك إفساد المنافقين في أرض الله، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها. فلم يسقط الله جل ثناؤه عنهم عقوبتَه، ولا خفّف عنهم أليمَ ما أعدَّ من عقابه لأهل معصيته – بحُسبانهم أنهم فيما أتَوْا من معاصي الله مصلحون – بل أوجبَ لهم الدَّرْكَ الأسفل من ناره، والأليمَ من عذابه، والعارَ العاجلَ بسَبَبِ الله إياهم وشَتْمه لهم، فقال تعالى:( ألا إنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ ). وذلك من حكم الله جل ثناؤه فيهم، أدلّ الدليل على تكذيبه تعالى قولَ القائلين: إن عقوباتِ الله لا يستحقها إلا المعاند ربَّه فيما لزمه من حُقُوقه وفروضه، بعد علمه وثُبوت الحجّة عليه بمعرفته بلزوم ذلك إيّاه.ا ه

الآية تتكلم عن المنافقين الذين بلغتهم الدعوة على حقيقتها، ولا يهم بعد تكذيبهم بها إن كانوا يظنون أن نفاقهم هو الحق أو يعتقدون أنه باطل، المهم أنه قد بلغتهم الحجة من الله فتركوها، فأين هؤلاء ممن اتبع دينا يظن أنه دين الله ولم يجد من ينبهه؟

تفسير قوله تعالى(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) [الكهف/103، 104]

تفسير الطبري – (ج 18 / ص 125)
وقوله:( الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول: هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة، بل كان على جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا : يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون، وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية، أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالا وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك، وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم. ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه ، كانوا مثابين مأجورين عليها، ولكن القول بخلاف ما قالوا، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة، وأن أعمالهم حابطة.
وعنى بقوله:( أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ) عملا والصُّنع والصَّنعة والصنيع واحد، يقال: فرس صنيع بمعنى مصنوع.ا هـ

ليس في الآية دليل على تعذيب من ظن أنه مطيع لله جهلا، وإلا لما استثني أهل الفترة، أما الثواب فممتنع لأنه على غير طاعة حقا، وإنما يعذب الذي بلغته الدعوة وأصر على كفره وهو يظن أنه يحسن صنعا ومحق في تكذيبه إياها.
وسياق الآيات يبين ذلك: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا)

تفسير قوله تعالى(مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) الاسراء
، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ( 14/477) :
لكن لا يعذب الله أحدا حتى يبعث إليه رسولا ، وكما أنه لا يعذبه فلا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة ، ولا يدخلها مشرك ولا مستكبر عن عبادة ربه ، فمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا امتحن في الآخرة ، ولا يدخل النار إلا من اتبع الشيطان فمن لا ذنب له لا يدخل النار ، ولا يعذب الله بالنار أحدا إلا بعد أن يبعث إليه رسولا فمن لم تبلغه دعوة رسول إليه كالصغير والمجنون والميت في الفترة المحضة ، فهذا يمتحن في الآخرة كما جاءت بذلك الآثار " اهـ
والميت في الفترة هم كل من كان بين رسولين ولم يكن الأول مرسلاً إليهم ولا أدركوا الثاني

ليست العلة في عذاب أحد هو أن يرسَل إلى أمته رسول، وإنما أن تبلغه هو شخصيا دعوة هذا الرسول لا أن تبلغ غيره، وليست العلة في عذابه هي أن تبلغه دعوة الرسول مشوهة فيتبعها على أنها دين الله، فكلا الشخصين يحتجان بأنه لم يأتهما رسول، أما البلاغ الخاطىء فليس حجة وإنذارا وإنما هو سبب الضلال، وهذا كمن يحتج بوجود المساجد ووسائل الإعلام وكأنها تقدم للناس دعوة الله حقا.

لا من أرسل إليه الرسول مثل اليهود والنصارى والمشركين الجهال بالتوحيد والذين يشركون بالله ليل نهار وأمامهم القرآن يقرأ عليهم والموحدون يدعونهم

إذا لم يفهم الناس من القرآن أنه يدعوهم لترك دعاء القبور والتحاكم إلى الطاغوت فهذه ليست دعوة ولا نذارة ولا حجة، فمن لم يفهم ما يدعوه إليه القرآن بالضبط فهو أشبه بمن جاءه رسول يكلمه بلغة أخرى.
ولا نتكلم عمن دعاه الموحدون فهذا قد بلغته الحجة إن كان هناك موحدون وأقاموا عليه الحجة فعلا، فإن اعتقد بعدها ما اعتقد أو ظن أنه على الحق فهو معذّب يوم القيامة.

ثم تقول إنهم يمتحنون لكونهم جهال فهذا عين الخطأ وكأن التوحيد الذي أرسل به الرسل ودعوا إليه ليس حجة علي أحد إلا المعاندين

لا أرى أي تلازم بين هذا وذاك، فمن بلغه التوحيد على حقيقته وهو دعوة الرسل كان حجة عليه يوم القيامة، وترك الحجة مراتب فمنه الترك مع التصديق ومنه التكذيب ومنه العناد ومنه الإستكبار، وكل هؤلاء قامت عليهم الحجة.

وهو المفهوم من قولك(والحديث الذي أوردوه فيمن سمع بنبوة محمد –صلى الله عليه وسلم– من اليهود والنصارى ولم يصدق بها، فهو عالم غير جاهل، لورود البشارة به في التوراة والإنجيل، فليس هناك أي وجه للتشابه بينه وبين من يصدق بنبوته ويعبد غير الله جاهلا بحكم ذلك، وظانا بأنه مأمور به شرعا، لأنه لم يعرف ما أرسل به على حقيقته، فآمن بما سمع وعرف، ولا تكليف إلا بمعلوم.
وقيام الحجة هو أن يميز الشخص دين الله عن غيره، ويعرف أنه مخاطب به من عند الله، والعذاب يكون مع قصد المخالفة، وهو لم يتوفر فيمن صدق بالنبوة وجهل فحوى الرسالة وظنه غيره، فاتبعه ظنا بأنه هو أمر الله، فالذي يقول أن مجرد معرفة الرسول حجة في عذاب أهل الشرك الجهال يضع معرفة الرسول في محل معرفة التوحيد، فيستبدل علة بعلة.) ا هـ

النصراني الذي وجد في كتابه نعت النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسمع به وكذّب به هو من أهل النار، أما من سمع به منهم وصدّق برسالته جملة واتبع ما عرف منها فلا يشبهه إطلاقا، رغم أنه كافر لم يحقق الإسلام.

وأقول لك ماذا تقول في قوم شعيب وهو وسطهم ثم يقولون (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ [هود/91] فهل كان هذا الجهل وعدم الفهم ما نع من عذابهم دنيا وآخرة لما بلغهم شعيب عليه السلام ثم هم لم يستجيبوا لعدم فهمهم ولكن عدم الفهم عقوبة من الله وليس عذر يمتحن به المشرك يوم القيامة كما تقول

ليس عدم الفهم هنا على ظاهره وإلا فإن نبيهم لم يبيّن لهم، وإنما هم يقولون له: إن كلامك غير مفهوم، استكبارا وجحودا، فلو لم يفهموا حقا لما كان في دعوته حجة، وربنا يقول أنه أرسل الرسل لألا يكون للناس حجة يوم القيامة بعدم إرسال الرسل.

.وفي تفسير الطبري – (ج 17 / ص 402)
وقوله( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا ) يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم.
كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا ) : إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبرا، أو يأتيه من الله بيِّنة، وليس معذّبا أحدا إلا بذنبه.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبي هريرة، قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصمّ والأبكم، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا، ثم أرسل رسولا أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول، وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، ثم يرسل إليهم، فيطيعه ا هـ
وفي تفسير ابن كثير – (ج 5 / ص 52)
وكذا قوله تعالى: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا } إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ } [ الملك: 8 ، 9 ]، وكذا قوله [تعالى] (7) : { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [ الزمر: 71 ]، وقال تعالى: { وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } [ فاطر: 37 ] تفسير ابن
إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه، ثم ذكر بعد ذلك

بقي هاهنا مسألة قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى، فيها قديمًا وحديثًا وهي: الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار، ماذا حكمهم؟ وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف، ومن مات في الفَتْرة ولم تبلغه الدعوة. وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا ذاكرها لك بعون الله [تعالى] وتوفيقه ثم نذكر فصلا ملخصًا من كلام الأئمة في ذلك، والله المستعان.

وبعد أن ذكر الأحاديث الدالة علي أنهم يمتحنون يوم القيامة قال

ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العَرَصَات، فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة، ومن عصى دخل النار داخرًا، وانكشف علم الله فيه بسابق (15) الشقاوة.

وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض. وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، رحمه الله، عن أهل السنة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في "كتاب الاعتقاد" وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ النقاد.ا هـــ

**وفي تفسير الألوسي – (ج 10 / ص 399)**

.

وأبو منصور الماتريدي ومتبعوه حملوا الآية على نفي تعذيب الاستئصال في الدنيا ، وذهب هؤلاء إلى تعذيب أهل الفترة بترك الإيمان والتوحيد وهم كل من كان بين رسولين ولم يكن الأول مرسلاً إليهم ولا أدركوا الثاني ، واعتمد القول بتعذيبهم النووي في «شرح مسلم» فقال : إن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الرسل عليهم السلام . والظاهر أن النووي يكتفي في وجوب الإيمان على كل أحد ببلوغه دعوة من قبله من الرسول وإن لم يكن مرسلاً إليه فلا منافاة بين حكمه بأنهم أهل فترة بالمعنى السابق وحكمه بأن الدعوة بلغتهم خلافاً للأبي في زعمه ذلك ، نعم إنما تلزم المنافاة لو ادعى أن من تقدمهم من الرسول مرسلاً إليهم وليس فليس .

وإلى ذلك ذهب الحليمي فقال في منهاجه : إن العاقل المميز إذا سمع أية دعوة كانت إلى الله تعالى فترك الاستدلال بعقله على صحتها وهو من أهل الاستدلال والنظر كان بذلك معرضاً عن الدعوة فكفر ويبعد أن يوجد شخص لم يبلغه خبر أحد من الرسل على كثرتهم وتطاول أزمان دعوتهم ووفور عدد الذين آمنوا بهم واتبعوهم والذين كفروا بهم وخالفوهم فإن الخبر قد يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان الموافق ولو أمكن أن يكون لم يسمع قط بدين ولا دعوة نبي ولا عرف أن في العالم من يثبت إلهاً ولا نرى أن ذلك يكون فأمره على الاختلاف في أن الإيمان هل يجب بمجرد العقل أو لا بد من انضمام النقل ، وهذا صريح في ثبوت تكليف كل أحد بالإيمان بعد وجود دعوة أحد من الرسول وإن لم يكن رسولاً إليه ، وبالغ بعضهم في اعتماد ذلك حتى قال : فمن بلغته دعوة أحد من الرسول عليهم السلام بوجه من الوجوه فقصر في البحث عنها فهو كافر من أهل النار فلا تغتر بقول كثير من الناس بنجاة أهل الفترة مع أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن آباءهم الذين مضوا في الجاهلية في النار اهـــ

والذي عليه الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء أن أهل الفترة لا يعذبون وأطلقوا القول في ذلك ، وقد صح تعذيب جماعة من أهل الفترة . وأجيب بأن أحاديثهم آحاد لا تعارض القطع بعدم التعذيب قبل البعثة ، وبأنه يجوز أن يكون تعذيب من صح تعذيبه منهم لأمر مختص به يقتضي ذلك علمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم نظير ما قيل في الحكم بكفر الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام مع صباه ، وقيل إن تعذيب هؤلاء المذكورين في الأحاديث مقصور على من غير وبدل من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع كما فعل عمرو بن لحي ولا يخفى أن هذا لا يوافق إطلاق هؤلاء الأئمة ولا القول بأنه لا وجوب إلا بالشرع ولو أمكن أن يكون من ثبت تعذيبه من أتباع من بقي شرعه إذ ذاك كعيسى عليه السلام لم يبق إشكال أصلاً ، واستدل بعض من يقول بتعذيبهم مطلقاً بما أخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» . والطبراني . وأبو نعيم عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً فيقول الممسوخ عقلاً : يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد بعقله مني ويقول الهالك في الفترة : يا رب لو أتاني منك عهد ما كان من أتاه منك عهد بأسعد بعهدك مني ويقول الهالك صغيراً : يا رب لو آتيتني عمراً ما كان من آتيته عمراً بأسعد بعمره مني فيقول لهم الرب تبارك وتعالى : فاذهبوا فادخلوا جهنم ولو دخلوها ما ضرتهم شيئاً فتخرج عليهم قوابص من نار يظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله تعالى من شيء فيرجعون سراعاً ويقولون : يا ربنا خرجنا وعزتك نريد دخولها فخرجت علينا قوابص من نار ظننا أن قد أهلكت ما خلق الله تعالى من شيء ثم يأمرهم ثانية

فيرجعون لذلك ويقولون كذلك فيقول الرب تعالى خلقتكم على علمي وإلى علمي تصيرون يا نار ضميهم فتأخذهم النار " وبعض الأخبار يقتضي أن منهم من يعذب ومنهم من لا يعذب
فقد أخرج أحمد . وابن راهويه . وابن مردويه . والبيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً وأما الأحمق فيقول : رب جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول فيأخذ سبحانه مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها سحب إليها » . وأخرج قاسم بن أصبغ . والبزار . وأبو يعلى . وابن عبد البر في التمهيد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى يوم القيامة بأربعة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الهرم الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من جهنم : أبرزي ويقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم فيقول لهم : ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء : يا رب أتدخلناها ومنها كنا نفر وأما من كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها فيقول الرب تعالى : قد عاينتموني فعصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار » إلى غير ذلك من الأخبار ، ويحتج بها من قال بانقسام ذراري المشركين بل وذراري المؤمنين وفي القلب من صحتها شيء وإن قال في الإصابة : إنها وردت من عدة طرق وعلى تقدير صحتها فمعارضها أصح منها ، والذي يميل إليه القلب أن العقل حجة في معرفة الصانع تعالى ووحدته وتنزهه عن الولد سبحانه قبل ورود الشرع للأدلة السابقة وغيرها وإن كان في بعضها ما يقال وإرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة منه تعالى أو أن ذلك لبيان ما لا ينال بالعقول من أنواع العبادات والحدود فلا يرد أنه لو كان العقل حجة ما أرسل الله تعالى رسولاً ولاكتفى به . وقيل في جوابه : لما كان أمر البعث والجزاء مما يشكل مع العقل وحده إلا بعظيم تأمل فيه حرج يعذر الإنسان بمثله ولا إيمان بدونه بعث الله تعالى الرسل عليهم السلام لبيان ما به تتمة الدين لا لنفس معرفة الخالق فإنها تنال ببداية العقول فالبعرة تدل على البعير والأثر على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج إلا تدل على اللطيف الخبير .

وأيضاً إن الله تعالى لم يدعنا ورسولاً من أول الأمر إلى يدل آخره والحجة كانت قائمة بالواحد كما بقيت بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ولم ذلك على أن الأول لم يكن حجة كافية ، وكذلك لم يدعنا سبحانه والبيان بآية واحدة بل من علينا جل شأنه بآيات متكررة ولا يدل ذلك أن الآية الواحدة لم تكن حجة كافية

وقوله تعالى خبراً عن قول الخزنة لأهل النار : { أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بالبينات } [ غافر : 50 ] توبيخ بالأظهر وهو لا يدل على أن الأخر ليس بحجة ، وقوله تعالى : { لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاس عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرسل } [ النساء : 165 ] على معنى لئلا يكون لهم احتجاج بزعمهم بأن يقولوا { لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً } [ طه : 134 ] ، وقوله تعالى : { ذلك أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ القرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غافلون } [ الأنعام : 131 ] محمول على الإهلاك بعذاب الاستئصال في الدنيا على تكذيب الرسل وأما جزاء الكفر فالنار في العقبى ، وكذا يقال في الآية التي نحن فيها لكثرة ما يدعو إليه فلا عذر لمن لم يعرف ربه سبحانه من أهل الفترة إذا كان عاقلاً مميزاً متمكناً من النظر والاستدلال لا سيما إذا بلغته دعوة رسول من الرسل عليهم السلام ولا يكاد يوجد من لم تبلغه كما سمعت عن الحليمي وقيل : بوجوده في أمريقا وهي المسماة بيكي دنيا قبل أن يظفر بها في حدود الألف بعد الهجرة كرشتوفيل المشهور بقلوبنو فإن أهلها على ما بلغنا إذ ذاك لم يسمعوا بدعوا رسول أصلاً ، ثم المفهوم من كلام الأجلة أن النزاع إنما هو بالنسبة لأحكام الإيمان بالله تعالى بخلاف الفروع فلا خلاف في أنها لا تثبت إلا في حق من بلغته دعوة من أرسل إليه وهو الظاهر ، نعم ما اتفق عليه الملل من الفروع هل هو كالإيمان حتى يجري فيه النزاع المتقدم فيه نظر ، وأما الإيمان بنبينا صلى الله عليه وسلم فليس بواجب على من لم تبلغه دعوته إذ ليس للعقل في ذلك مجال كما لا يخفى على ذي عقل.ا هـ

وفي تفسير نظم الدرر للبقاعي – (ج 5 / ص 50)

{ وما كنا } أي على عظمتنا { معذبين } أحداً { حتى نبعث } أي بعثاً يناسب عظمتنا { رسولاً * } فمن بلغته دعوته فخالف أمره واستكبر عن اتباعه عذبناه بما يستحقه ، وهذا أمر قد تحقق بإرسال آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام في جميع الأمم كما قال تعالى { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً } [ النحل : 36 ] { وإن من أمة إلا خلا فيها نذير } [ فاطر : 24 ] فإن دعوتهم إلى الله تعالى قد انتشرت ، وعمت الأقطار واشتهرت ، انظر إلى قول قريش الذين لم يأتهم نبي بعد إسماعيل عليه السلام

{ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة } [ ص : 7 ] فإنه يفهم أنهم سمعوه في الملة الأولى فمن بلغته دعوة أحد منهم بوجه من الوجوه فقصر في البحث عنها فهو كافر مستحق للعذاب ، فلا تغتر بقول كثير من الناس في نجاة أهل الفترة مع إخبار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن آباءهم الذين مضوا في الجاهلية في النار ، وأن ما يدحرج الجعل خير منهم – إلى غير ذلك من الأخبار؛ قال الإمام أبو عبد الله الحليمي أحد أجلاء الشافعية وعظماء أئمة الإسلام رضي الله عنهم في أوائل منهاجه في باب من لم تبلغه الدعوة : وإنما قلنا : إن من كان منهم عاقلاً مميزاً إذا رأى ونظر إلا أنه لا يعتقد ديناً فهو كافر ، لأنه وإن لم يكن سمع دعوة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلا شك أنه سمع دعوة أحد من الأنبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على كثرتهم ، وتطاول أزمان دعوتهم ، ووفور عدد الذين آمنوا بهم واتبعوهم والذين كفروا بهم وخالفوهم ، فإن الخبر قد يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان الموافق ، وإذا سمع آية دعوة كانت إلى الله فترك أن يستدل بعقله على صحتها وهو من أهل الاستدلال والنظر ، كان بذلك معرضاً عن الدعوة فكفر – والله أعلم ، وإن أمكن أن يكون لم يسمع قط بدين ولا دعوة نبي ولا عرف أن في العالم من يثبت إلهاً – وما نرى أن ذلك يكون – فإن كان فأمره على الاختلاف – يعني عند من يوجب الإيمان بمجرد العقل ومن لا يوجبه إلا بانضمام النقل . وما قاله الحليمي نقل نحوه عن الإمام الشافعي نفسه رضي الله عنه؛ قال الزركشي في آخر باب الديات من شرحه على المنهاج : وقد أشار الشافعي إلى عسر قصور – أي عدم بلوغ – الدعوة حيث قال : وما أظن أحداً إلا بلغته الدعوة إلا أن يكون قوم من وراء النهر بكوننا ، وقال الدميري : وقال الشافعي : ولم يبق من لم تبلغه الدعوة .

ولما أشار إلى عذاب المخالفين ، قرر أسبابه وعرف أنها بقدره ، وأن قدره لا يمنع حقوق العذاب ، لبناء الأمر على ما يتعارفه ذوو العقول بينهم ا هـ

***ملخص الايه السابقة***

بعد هذا النقل المطول لكلام العلماء المفسرين للأيه نقول

1- يقول الشيخ حلمي هاشم في شهد الاعتقاد ج1ص474

ومن حيث أن القاعدة أنه قد ( أعذر من أنذر ) لذا فقد كانت رسالة هذا الرسول الخاتم y هي الإعذار وهى الإنذار للناس كافة:

أ- فالرسالة أبلغت: ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ الآية المائدة.

والنذارة أعلنت: ﴿ أني أنا النذير المبين﴾ [ الحجر: 89 ].

والبلاغ قد وصل: ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾ [ القصص: 51 ].

وقد كان ذلك على المستوي العام المقصود: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا ﴾ الأعراف: 158

ومن ثم : ﴿ أني لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه ﴾ [ الدخان: 14/13 ].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا اليهم رسولا بين الرسالة والنذارة ومع هذا ﴿ تولوا عنه ﴾ وما وافقوه بل كذبوه أ.هـ

وقد قال تعالى عن مثل هذا التولي: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾ [ النور: 54 ].

قال ابن كثير: ﴿ فإن تولوا ﴾ أي تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به ﴿ فأنما عليه ماحمل ﴾ أي أبلاغ الرسالة ﴿ وعليكم ماحملتم ﴾ أي قبول ذلك أ.هـ

ولا يلزم كي يكون المرء مكذباً للرسول أن يقول له: كذبت ، بل من أعرض عنه ولم يأبه بما أرسل به، فقد كذبه ، ومن رد خبره فقد كذبه ، ومن امتنع عن متابعته فقد كذبه , حتى ولو أقرَّ بصدقه , وقد علم أن كثير من زعماء قريش كانوا يعلمون صدق محمد r ولم يغير ذلك من حكمهم شيئا – وقد ذكر المولي تبارك وتعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [ الأنعام: 33 ].

كما قال عن أهل الكتاب: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[ البقرة: 146 ].

2-أن الايه تتحدث عن العذاب لا عن الجهل العذاب في حق من لم تبلغه دعوة رسول ولا علاقة بكونه مسلم أو مشرك في أحكام الدنيا لان أحكام الدنيا كما سبق مبناها علي الظاهر فمن قال أو عمل الشرك فهو مشرك فليس له وصف وحكم غير ذلك أما كونه جاءه رسول أو لا فهذا أمر أخر متعلق بالآخرة فمن جاءه رسول كما هو حال الناس اليوم فالقرآن بلاغ إلي يوم القيامة وهو متاح أمام كل الناس وبإمكان كل أحد السؤال عن التوحيد وعن الشرك الأكبر ولكن جميع المشركين لا يسألون ولا يخطر ببالهم السؤال فمن كان هذا حاله ثم أشرك فهو مشرك في أحكام الدنيا ومخلد في النار في أحكام الآخرة ولا يعذر بجهله وأما من لم

يأته رسول ولم يسمع به وهذا في الواقع العملي في مثل هذا التقدم العلمي والتقني لا يكاد يوجد( وقال الشافعي : ولم يبق من لم تبلغه الدعوة .ا ه )

القول أن دعوة التوحيد بلغت كل الناس بعيد عن الواقع، فلم تبلغ اليوم حتى من يسكن مكة المكرمة فكيف تبلغ من يعيش في مجاهل سيبيريا وأدغال إفريقيا؟ ولم تبلغ أرجاء العالم حتى يوم كانت هناك دار إسلام تحتل مساحة شاسعة، وكيف يقال أن القرآن متاح لإنسان لا يفهم ما فيه على أنه يناقض ما يفعله ويعتقده؟ ويعتقد جازما أنه على دين الله، حتى وإن شك في أمر وسأل فسيحرفون له الجواب ولن يعرف التوحيد، وهذا ما نراه على أرض الواقع.

فإن وقع في الشرك فهو مشرك في أحكام الدنيا وأما في أحكام الآخرة ففيها الخلاف السابق ذكره والصحيح فيه ما قاله الشنقيطيى كما نقله عن بن كثير وغيره من المفسرين من أنهم يمتحنون فمن أطاع دخل الجنة ومن عصي دخل النار وهو ما قاله بن القيم فى طريق الهجرتين – (ج 1 / ص 607)

عند الحديث عن الطبقة السابعة عشرة (نعم لا بد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال وهو الفرق بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فأعرض عنه ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه والقسمان واقعان في الوجود فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه فهم قسمان أيضا أحدهما مريد للهدى مؤثر له محب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يرشده فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة الثاني معرض لا إرادة له ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه فالأول يقول يا رب لو أعلم لك دينا خيرا مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقدر على غيره فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي والثاني راض بما هو عليه لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته وكلاهما عاجز وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق فالأول كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزا وجهلا والثاني كمن لم يطلبه بل مات على شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض فتأمل هذا الموضع والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل فهبذا مقطوع به في جملة الخلق وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا فذلك ما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول هذا في الجملة والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه هذا في أحكام الثواب والعقاب وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة ا هـ

الأمر غيبي لا يعلمه إلا الله وهو الذي تكفّل بالثواب والعقاب، فلا نتألّى على الله، وعلينا أن نقف عند حدود ما بينه لنا، ولو ترك الأمر بأيدينا لكان وكان.
لكن البعض للأسف يريد أن يربط عقيدة الإسلام بكل ما هو غير معقول، وهذا سيعود بالوبال على هذه الدعوة، رغم أن الله عز وجل قد ذكر العلل والأسباب الموجبة للثواب والموجبة للعقاب وموانعهما، وهي موجودة في واقعنا، فلا يصح إخراج واقع ما من إطار النص بمجرد أوهام مخالفة للنقل والعقل، حتى ولو لم يذكر الله لنا وجوب الحجة قبل العذاب لكان عدل الله المطلق يوجب علينا القول بذلك.

تاسعا يقول الشيخ محمد سلامي
(أنظر مثلا كيف ينسبون الإسلام لعبّاد الحجر، يقول ابن كثير في "البداية والنهاية" (34/14) في حوادث سنة 704هـ: (راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد التاريخ، وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط تزار وينذر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما).
وقال ابن تيمية في "الفتاوى" (364/1): (وأما الداخلون في الإسلام إذا لم يحققوا التوحيد واتباع الرسول، بل دعوا الشيوخ الغائبين، واستغاثوا بهم، فلهم من الأحوال الشيطانية نصيب، بحسب ما فيهم مما يرضي الشيطان).
إنه هنا يثبت لهم الدخول في الإسلام، وهم لم يحققوا التوحيد، فهم يدعون الشيوخ من دون الله، كما كانوا يدعون المسيح وغيره من قبل، أهكذا يكون الدخول في الإسلام؟! ا هـ
ثم يقول

قال ابن تيمية في "الرد على البكري" (731/2) : (حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، قال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

...ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كثيرا من القائلين الذين اعتقدوا هذا قتالا شرعيا أجروا على نياتهم، فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر بإخلاص الدين لله والإستغاثة به...فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الإستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصرا لم يتقدم نظيره).

كيف يكون هذا القتال غير شرعي وأهله مسلمون كما تزعمون؟ فإن نصرتهم واجبة، لأن الذين لا يجوز القتال تحت رايتهم هم الكفار، وهذا مثل الذين يفتون بتحريم الإستغفار لهم، ومعلوم أن الذين حرم الله الإستغفار لهم هم المشركون لا المسلمين، فأي فقه هذا وأي دين؟! ولا زالت دار لقمان على حالها، والبعض اليوم يقاتل دفاعا عما يسميه بأرض الإسلام وهو يعتبرها دار كفر!(ا هـ

ثم يقول

ثم انظر إلى قول ابني محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر آل معمر كما في "الدرر السنية" (136/10): (وإذا كان يعمل بالكفر والشرك لجهله أو عدم من ينبهه لا نحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة، ولكن لا نحكم بأنه مسلم).

ويقول ابن القيم في "طريق الهجرتين" (435): (والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل).

وهذا التأصيل يعني أن الجهال الذين لا يأتون بذلك كفار، لكن ابن القيم لا يعتقد بهذا، فهو يثبت الإسلام لعبّاد القبور الجاهلين، لكنه يعتبر جهال الأمم الأخرى كفارا، ويقول بأن المسلم هو من لا يشرك بالله شيئا، ثم يقول أن من شهد وأشرك جهلا مسلم، أي يستبدل قاعدة بقاعدة يهدمها بها.

الإضطراب في حكم الكافر المتأول:

قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب كما في "الدرر السنية" (234/1) وفي "الهدية السنية" جمع سليمان بن سحمان (34) : (فإن قال قائل منفر عن قبول الحق والإذعان له، يلزم من تقريركم وقطعكم في أن من قال: يا رسول الله أسألك الشفاعة، أنه مشرك مهدر الدم أن يقال بكفر غالب الأمة ولا سيما المتأخرين، لتصريح علمائهم المعتبرين أن ذلك مندوب، وشنوا الغارة على من خالف ذلك! قلت:...ونحن نقول فيمن مات: [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ]، ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبرا معاندا، كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذاك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات، وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله، ورضاه به، ولتكثير سواد من ذكر، والتغليب معه، فله حينئذ حكمه في حل قتاله، ونعتذر عن من مضى بأنهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ، وإجماع في ذلك ممنوع قطعيا، ومن شن الغارة فقد غلط، ولابد أن يغلط، فقد غلط من هو خير منه، كمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر وفي غير ذلك، يعرف ذلك في سيرته، بل غلط الصحابة وهم جمع ونبينا –صلى الله عليه وسلم– بين أظهرهم سار فيهم نوره، فقالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فإن قلت: هذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه، فما القول فيمن حرر الأدلة واطلع على كلام الأئمة القدوة واستمر مصرا على ذلك حتى مات؟ قلت: ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر، ولا نقول: إنه كافر، ولا لما تقدم إنه مخطئ، وإن استمر على خطئه، لعدم من يناضل في هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه، فلم تقم عليه حجة، ولا وضحت له المحجة، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين إذا تواطأوا على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأسا، ومن اطلع عليه أعرض عنه قبل أن يتمكن في قلبه، ولم يزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك، وصولة الملك قاهرة لمن وقر في قلبه شيء من ذلك، إلا من يشاء الله منهم، هذا وقد رأى معاوية وأصحابه – رضي الله عنهم– منابذة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بل وقتاله ومناجزته الحرب، وهم في ذلك مخطئون بالإجماع، واستمروا في ذلك الخطأ حتى ماتوا، ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعا، بل ولا تفسيقه، بل أثبتوا لهم أجر الإجتهاد، وإن كانوا مخطئين، كما ذلك مشهور عند أهل السنة، ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته، وشهر صلاحه، وعلم ورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبلغ من نصحه الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها،

كابن حجر الهيثمي فإنا نعرف كلامه في "الدر المنظم" ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه كـ "شرح الأربعين" و"الزواجر" وغيرهما، ونعتمد على نقله، لأنه من جملة علماء المسلمين).

هذا المنفر عن الدين فهم –لسلامة عقله– أن الحكم بكفر من دعا الرسول من دون الله يقتضي الحكم بكفر غالب الأمة في العصور المتأخرة وعلمائهم أيضا لدعوتهم لذلك الشرك، لكن الشيخ يتهرب من ذلك الحكم بقول الله: [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ] [البقرة: 134]، مع أنه يحكم لهم بالإسلام ولا يقول: [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ]، والآية بعيدة كل البعد عن هذا الموضوع، ولا يسعنا أن نتوقف في حكم أي أمة خلت أو بقيت وقد عرفنا حالها.

وهو يعتبر العلماء الذين دعوا للشرك جاهلين، وهذا أمر واقع فعلا لغلبة الجهل، لكنه يعذر من أخطأ في هذا متأولا، كمن أخطأ في الرأي والمشورة والإجتهاد، وهذا يلزمه أن يثبت للمخطئ في التوحيد مجتهداً أجر الإجتهاد! نسأل الله العافية.

إنهم يعتقدون أن الإشتهار بالعلم والصلاح والزهد مانع من تكفير من كفر، ويقولون أن الناس حريصون على الإسلام، وكل هذه موانع مبتدعة، ألم يعلموا أن الإنسان يكفر مع حرصه ذلك؟ فقد يرتد المسلم وهو يجاهد في سبيل الله، ونيته صادقة، ولكنه ارتد بأمر آخر، ولا يرفع الله له عملا صالحا، فالعمل الصالح لا يحصّن من الكفر.

قال الله –سبحانه–: [عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً[]الغاشية: 4/3]، وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو وقاتل في سبيل الله حتى يقتل فإن ذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق) [رواه ابن حبان وأحمد بإسناد جيد وهو حسن والطبراني وهو صحيح].

ثم يقول

التفريق بين الأمة وأفرادها:

يقول سيد قطب في "ظلال القرآن" في تفسير سورة "الأنعام": (وفي الأرض اليوم أقوام من الناس أسماؤهم أسماء المسلمين وهم من سلالات المسلمين، وفيها أوطان كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام، ولكن لا الأقوام اليوم تشهد أن لا إله إلا الله بذلك المدلول، ولا الأوطان اليوم تدين لله بمقتضى هذا المدلول، وهذا أشق ما تواجهه حركات الإسلام الحقيقية في هذه الأوطان مع هؤلاء الأقوام...أشق ما تعانيه هذه الحركات هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين وطريق المشركين المجرمين، واختلاط الشارات والعناوين، والتباس الأسماء والصفات والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق، ويعرف أعداء الحركات الإسلامية هذه الثغرة، فيعكفون عليها توسيعاً وتمييعاً وتلبيساً وتخليطاً، حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، تهمة تكفير المسلمين، ويصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحهم، لا إلى قول الله ولا إلى قول رسول الله...الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله بذلك المدلول، فمن لم يشهدها على هذا النحو، ومن لم يقمها في الحياة على هذا النحو، فحكم الله ورسوله فيه أنه من الكافرين الظالمين الفاسقين المجرمين...كذلك فإنهم لن يتحملوا متاعب الطريق إلا إذا استيقنوا أنها قضية كفر وإيمان، وأنهم وقومهم على مفرق الطريق، وأنهم على ملة وقومهم على ملة، وأنهم في دين وقومهم في دين).

ويقول في "الإسلام ومشكلات الحضارة": (فهذا المجتمع الإسلامي لم يوجد بعد منذ أن اتخذت شرائع غير شريعة الإسلام لتصريف الحياة، لم يوجد حتى تكون هذه مشكلاته، والإسلام ليس مطلوبا منه ولا مقبولا كذلك أن يوجد حلولا فقهية لمجتمع غير إسلامي، مجتمع أنشأ مشكلاته هذه بسبب أنه لم يعرف الإسلام، أو بسبب أنه هجر الإسلام، إن كان قد عرفه من قبل).

فالظاهر أنه ينتقل إلى العمل بمقتضى ما قرره من الفصل بين المسلمين والكفار، لكن الواقع بخلاف ذلك، فهو يقول أيضاً في "لماذا أعدموني" (36): (وقد قلت له: إننا لم نكفر الناس، وهذا نقل مشوه، إنما نحن نقول: إنهم صاروا من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة وعدم تصور مدلولها الصحيح، والبعد عن الحياة الإسلامية إلى حال تشبه حال المجتمعات في الجاهلية، وإنه من أجل هذا لا تكون نقطة البدء في الحركة هي قضية إقامة النظام الإسلامي، ولكن تكون: إعادة زرع العقيدة والتربية الأخلاقية الإسلامية، فالمسألة تتعلق بمنهج الحركة الإسلامية أكثر مما تتعلق بالحكم على الناس).

هذا ما يقصده، أي أن الناس مسلمون، ولكن يُدعون كما يدعى الكفار، ولكن أقواله الأخرى توضح بما لا يدع مجالاً للشك أن الفصل بين المسلمين والكفار ضابط يقوم عليه الدين، ويصرح بكفر الأمة وكفر الأفراد، لكننا إذا دققنا جيداً، نجده بخلاف ذلك.

فهو –مثلا– ينسب بعض الأسماء من المعاصرين إلى المسلمين كمحمد رشيد رضا والمودودي، ولهؤلاء الذين أخطأوا في فهمه عذر، فغموض هذه العقيدة وتناقضها هو الذي جر إلى الإختلاف فيها.

إن سيد قطب يفصل بين الفرد والأمة، فيحكم على الفرد حسب عقيدته وعمله، ويحكم على الأمة حسب نظام حياتها العام، ولذلك يختلفان عنده، بينما لا يصح شرعاً وعقلاً التفريق بين الأمة وأفرادها، ولا دليل على ذلك، مادام يتوجب على كل عقيدة تقديم الدليل بين يديها، فالأمة تتكون من مجموعة من الأفراد تربط بينهم علاقات دائمة، ويحملون ضميرا جمعيا مشتركا، ولا يمكن أن يكونوا مسلمين أو كفارًا في علاقاتهم بالله فرادى دون علاقاتهم ببعضهم البعض، بل هذا يعود به إلى حقيقة العلمانية ا هـ

وقد سبق الرد علي كل هذا وأن ماذكرتهم هم علماء موحدون يكفرون المشركين الذين يعبون غير الله ممن يجهلون التوحيد لكن أنت فهمت خطأ عنهم كما فهم المشركون من كلامهم.

لقد جمع سيد قطب بين ما يظهر منه التناقض واختار طريقا واضحا، وكان الأولى لمن يخالف هذا إيجاد تفسير مقنع لا غض الطرف عنه، وإن كان المشركون يستدلون بكلام هؤلاء العلماء كعادتهم فمن المفروض على المسلم أن يوجهه التوجيه الصحيح إن أمكن، وإلا يثبت ذلك المعنى الظاهر ويحكم عليه، ولا يسعه تجاهله، وما ذكرته ليس سوى أمثلة.

ولا يفوتني أن أذكّر بأن الخلاف هنا خلاف في حال أشخاص أو أقوام سابقين، وليس خلافا في العقيدة، فنحن نتفق والحمد لله على أنه إن ثبت عنهم ذلك الكفر فهم كفار وإن لم يثبت عنهم فهم مسلمون.

ويقول أيضا في كتاب الملة الغائبة

(ولذلك لما سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا يقرأ : « قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ » في الركعة الأولى قال : « هذا عبد آمن بربّه » ثم قرأ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » في الركعة الأخرى فقال : « هذا عبد عرف ربّه » (رواه الطحّاوي وابن حبّان وابن بشران وحسّنه الحافظ).

فلم يكن مؤمنا بمعرفته بوحدانية الله في ربوبيته وأفعاله وصفاته، ولكن حتى كفر بدين الكافرين وكفرهم وميز بين المسلمين والكفار، فهذا هو الإيمان بالله، وهو الإيمان بدينه والدخول فيه.

وإنّهم إذ يكفرون ويأبون أن يوصفوا بالكفار لا يغيّر ذلك من حقيقة الأمر شيئا، كما يكرهون أن يقال لهم أن عملهم بالربا حرام، فحتى اليهود والنصارى وغيرهم يأبون هذا الإسم، ويقولون أن دينهم هو الدين الذي أمر الله به، وإن لم يدّعوا اتباع دين محمّد - صلى الله عليه وسلم - فقد انتسبوا إلى أتباع إبراهيم وموسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - وغيرهم من الأنبياء، ولا يقبلون أن يقال لهم أنكم كفرتم بدين هؤلاء الأنبياء، وكذلك مرتدّو العرب من أتباع مسيلمة في زمانهم وأمثالهم كانوا يتسمون بالمسلمين ويأبون إسم الكفار، وكل هذا كفر بواح، وإن لم يعلنوا أنهم خارجون عن الإسلام ويبوحوا بذلك بألسنتهم. )ا هـ

(ويخرج من كفّر أخاه من الملة إذا نفى ما يخرج من الإسلام، ورفع مكانه اتباع الهوى فيه، وقذفه بالكفر لأمر يعلم أنه لا يخرج من الإسلام في الكتاب والسنة، وأنكر الفرق الحقيقي بين المسلم والكافر، فيرتدّ بهذا وإن كان متأوّلا، ويكون كفرًا أصغر إذا اتّبع هواه على علم بأن ما كفّره به لا يخرج من الإسلام، دون إنكار أو تكذيب بما يميّز المسلم عن الكافر، وإن كان متأوّلا عذر.)

ثم يقول(والإيمان بأن الكافر مسلم أخطر من موالاته، لأن موالاة المسلم للكافر تحدث مع اعتقاده أن من يواليه كافر بالله، أما إن لم يكفره فقد أدخل في الإسلام من ليس منه، ولم يدر ما الفرق بين المسلم والكافر، ولم يدرك الإسلام أصلا، والموالاة تضادّ العداوة لا التكفير، فقد يوالي الكفار وهو يعتقد في كفرهم فيحالفهم ويعادي أعداءهم ويوالي أولياءهم.

والتكفير للكفار كلّهم عالمهم وجاهلهم، أما الموالاة فمحرّمة مع الذين يحادّون الله ورسوله ويكذّبونه ويحاربونه ويصدّون عن سبيله، وهو المودّة والمناصرة على المسلمين، قال الله - تعالى - : « لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » ( المجادلة : 22). )

ويقول (أما اعتزال الشرك والكفر والبراءة من المعبودات فهي كتكفير الكافرين تكون قبل علم المشركين بالإسلام وبعده، لأنها لا تندرج في إطار المعاملات كالولاء والبراء، وما في كتاب الله عن معاملة الكفار فإنما هم الذين أقيمت عليهم الحجّة فأبوها لا الجهّال، لأن القرآن عندما كان يتنزّل كان يساير الدعوة.

والبراءة من الكافرين اعتقاد وعمل، إلا أن يكون المسلم مستضعفا، يقول الله - تعالى - : « لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ » (آل العمران: 28). فموالاة الكفّار على المسلمين ونصرتهم تكون كفرا إذا لم يكن صاحبها مكرها، وقصد عداوة المسلمين ولو مع ادعائه الإسلام.

فعن ابن عبّاس أن قوما كانوا قد تكلّموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكّة يطلبون حاجة لهم فقالوا : إن لقينا أصحاب محمّد فليس علينا منهم بأس، وإن المؤمنين لمّا أخبروا أنّهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين : اركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عدوّكم، وقالت فئة أخرى من المؤمنين : سبحان الله - أو كما قالوا - أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به، من أجل أنّهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم نستحلّ دماءهم وأموالهم، فكانوا كذلك فئتين، والرسول عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شيء، فنزلت « فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً، وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سواءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا » (النساء : *88/89*) (رواه ابن أبي حاتم وأبو سلمة وعكرمة ومجاهد والضحاك).
واختلاف المسلمين في أمرهم بسبب عدم إظهارهم لنيتهم، إذ كانوا منافقين[1] أعلنوا إسلامهم للمسلمين خداعا، ونصروا الكفار تستّرا تحت

---

1. « أحكام القرآن » لأبي بكر الجصاص (*2/218*).

غطاء التقية، فلم يعلم المسلمون إن كانوا راضين بحرب المسلمين وموالاة الكفار أم لا، فأظهر الله كفرهم ونفاقهم للمسلمين. )

الـــــــــــــــــــــــــــــــــرد

الولاء والبراء أصل من أصول التوحيد(انظر كتاب الموالاة والمعادة للكاتب)
و الولاء والبراء عبادة مثل الحكم وقد قرن الله بينهما في آية واحدة قال تعالي(لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26)) [الكهف26] فاتخاذ من دون الله ولي هو مثل اتخاذ معه شريك في حكمه كله شرك أكبر وللمذيد من ذلك انظر كتاب الموالاة والمعاداة في العقيدة الإسلامية للكاتب وفيه الفصل الثالث: علاقة الولاء والبراء بالتوحيد والعبادة
إن الولاء من التوحيد والأدلة علي ذلك كثيرة
الدليل الأول=قال تعالى: (وَمِنَ النّاسِ مَن يَتّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبّونَهُمْ كَحُبّ اللّهِ وَالّذِينَ آمَنُوا أَشَدّ حُبّاً للّهِ وَلَوْ يَرَى الّذِينَ ظَلَمُوَاْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنّ الْقُوّةَ للّهِ جَمِيعاً وَأَنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) [سورة: البقرة - الأية: 165]
وقال صاحب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد
قال المصنف: (وعن ابن مسعود رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار" رواه البخارى) :
ولكن الشبه التي أوقعتك في فصل الولاء عن التوحيد هي أن الولاء أصل وله شغب كما ذكر صاحب العقيدة الطحاوية
( نقل الشيخ حلمي هاشم في كتاب الفوائد
قال ابن رجب رحمه الله : ( وأصل الموالاة القرب وأصل المعاداة البعد ) . (1)
وقال شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله : (الولي من الوَلاية بفتح الواو التي هي ضد العداوة) .(2)
وقال : (والولي : خلاف العدو وهو مشتق من الولاء : وهو الدنو والتقرب ) . (3)
قال ابن رجب : (فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم كما أن أعداء الله تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم ) أ . هـ(4)
قال شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله : (والولاية أيضا نظير الإيمان) أ.هـ(1)
ولذا فإنه إذا كان أحد أعظم أصول أهل السنة أن الإيمان أصل وله شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيماناً . (2)
فإن الولاء أصل وله شعب متعددة كل شعبة منها تسمى ولاء .
وإذا كان من شعب الإيمان (ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى عن الطريق ويكون إليها أقرب )أ.هـ (3)
فأيضاً من شعب الولاء ما يزول الإيمان بزوالها أو بممارستها مع المشركين ومنها ما لا يزول الإيمان بزوالها أو بممارستها مع المشركين
** فمن شعب الولاء للمؤمنين محبتهم ونصرتهم والقيام على النصح لهم ...

** ومن شعب الولاء للكافرين والتي بها يزول الإيمان بالكلية مؤاخاتهم وتصحيح مذهبهم وطاعتهم من دون الله ورسوله وغير ذلك مما سيلي بيانه .)اهـ
ولما كان التوحيد لا يذيد ولا ينقص عند الشيخ محمد سلامي أصبح الولاء ليس من التوحيد لان له شعب كما ذكر نا سابقا

ليس في كلامي ما يدل على أن الولاء للكفار غير مخرج من الإسلام، وإنما أردت القول أن التمييز بين المسلم والكافر سابق على الولاء والبراء، فمن لم يكفّر الكافر سيتولاه ولاء المسلم للمسلم، ولا نقول له: لِمَ تناصر الكافرين؟ وهو يعتقد أنهم مسلمون.
وقولي أن الإيمان بأن الكافر مسلم أخطر من موالاته لا يعني أن الموالاة لا تخرج من الإسلام، وإنما نبهت إلى أن الإعتقاد بإسلامه أخطر من موالاته، فهو كفر أغلظ من كفر، وكلاهما كفر أكبر، وعندما كانت الآيات تتنزل تنهى عن موالاة الكافرين لم تكن مسألة الإعتقاد بإسلامهم مطروحة أصلا، فلم يكن هناك إشكال في عدم إسلام قريش واليهود.
أما الآيات المذكورة فهي تتحدث عن اتخاذ ولي من المعبودات غير الله تعالى، وهو يختلف عن موالاة الكافرين في المعنى، وإن كان حكمهما سواء.
فقوله تعالى: (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيَ أَوْلِيَاءَ) يختلف عن قوله: (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فالآية الأولى تتكلم عن الولاء لغير الله والثانية تتكلم عن الولاء لغير المؤمنين.
ولو خلطنا بين المعنيين لقلنا أن اتخاذ المؤمنين أولياء كفر لأنه اتخاذ لعباد الله أولياء من دون الله، لكن الآية الأولى تعني عبادتهم من دون الله، أما الآية الثانية فتنهى عن مناصرة الكفار لا عن عبادتهم، لأنه معنى غير وارد هنا.
وهذا التفصيل في معاني الولاء من دون الله والولاء من دون المؤمنين والتكفير والولاء لا يعني أننا جعلنا المخالفة فيها غير مخرجة من الإسلام.
والله أعلم

الدليل الثاني قال تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام : 14
جاء في تفسير سيد قطب
إن هذه القضية . . قضية اتخاذ الله وحده وليا . بكل معاني كلمة "الولي" . أي اتخاذه وحده ربا ومولى معبودا يدين له العبد بالعبودية ممثلة في الخضوع لحاكميته وحده ; ويدين له بالعبادة له شعائرها وحده . واتخاذه وحده ناصرا يستنصر به ويعتمد عليه ,ويتوجه إليه في الملمات . . إن هذه القضية هي قضية العقيدة في صميمها . فإما إخلاص الولاء لله – بهذه المعاني كلها – فهو الإسلام . وإما إشراك غيره معه في أيمنها ,فهو الشرك الذي لا يجتمع في قلب واحد هو والإسلام !
إنه منطق الفطرة القوي العميق . . لمن يكون الولاء ولمن يتمحض ? لمن إن لم يكن لفاطر السماوات والأرض الذي خلقهما وأنشأهما ? لمن إن لم يكن لرازق من في السماوات والأرض الذي يطعم ولا يطلب طعاما ?)(قل:أغير الله أتخذ وليًا). . وهذه صفاته سبحانه . . أي منطق يسمح بأن يتخذ غيرالله وليا ? إن كان يتولاه لينصره ويعينه , فالله هو فاطر السماوات والأرض , فله السلطان في السماوات والأرض . وإن كان يتولاه ليرزقه ويطعمه , فالله هو الرازق المطعم لمن في السماوات ومن في الأرض . ففيم الولاء لغير صاحب السلطان الرزاق ?
ثم) . . قل:إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين). . والإسلام وعدم الشرك معناهما المتعين ألا أتخذ غير الله وليا . فاتخاذ غير الله وليا – بأي معنى - هو الشرك . ولن يكون الشرك إسلاما . .
قضية واحدة محددة , لا تقبل لينا ولا تميعا . . إما أفراد الله سبحانه بالتوجه والتلقي والطاعة والخضوع والعبادة والاستعانة ; والإقرار له وحده بالحاكمية في كل أمر من هذه الأمور ورفض إشراك غيره معه فيها ; وولاء القلب والعمل , في الشعيرة و الشريعة له وحده بلا شريك . . إما هذا كله فهو الإسلام . . وإما إشراك أحد من عباده معه في شيء من هذا كله فهو الشرك . الذي لا يجتمع في قلب واحد مع الإسلام . ا هـ
قال السعدي في التفسير

{ قُلْ } لهؤلاء المشركين بالله: { أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا } من هؤلاء المخلوقات العاجزة يتولاني، وينصرني؟!. فلا أتخذ من دونه تعالى وليا، لأنه فاطر السماوات والأرض ا هـ
الدليل الثالث- قوله تعالى: (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيَ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً) [سورة: الكهف - الأية: 102]
جاء في تفسير السعدي
وهذا برهان وبيان، لبطلان دعوى المشركين الكافرين، الذين اتخذوا بعض الأنبياء والأولياء، شركاء لله يعبدونهم، ويزعمون أنهم يكونون لهم أولياء، ينجونهم من عذاب الله، وينيلونهم ثوابه، وهم قد كفروا بالله وبرسله.
يقول الله لهم على وجه الاستفهام والإنكار المتقرر بطلانه في العقول: { أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ } أي: لا يكون ذلك ولا يوالي ولي الله معاديا لله أبدا، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابها لقوله تعالى { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ }
فمن زعم أنه يتخذ ولي الله وليا له، وهو معاد لله، فهو كاذب، ويحتمل -وهو الظاهر- أن المعنى: أفحسب الكفار بالله، المنابذون لرسله، أن يتخذوا من دون الله أولياء ينصرونهم، وينفعونهم من دون الله، ويدفعون عنهم الأذى؟ هذا حسبان باطل، وظن فاسد، فإن جميع المخلوقين، ليس بيدهم من النفع والضر، شيء، ويكون هذا، كقوله تعالى: { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } { وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ } ونحو ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها، أن المتخذ من دونه وليا ينصره ويواليه، ضال خائب الرجاء، غير نائل لبعض مقصوده.
{ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } أي ضيافة وقرى، فبئس النزل نزلهم، وبئست جهنم، ضيافتهم.ا هـ
جاء في تفسير ابن كثير
ثم قال: " أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء " أي اعتقدوا أنهم يصلح لهم ذلك وينتفعون به " كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا " ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلا.ا هـ
الدليل الرابع قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [سورة: الزخرف - الأية: 028027026]
جاء في تفسير السعدي
يخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ } الذين اتخذوا من دون اللّه آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم:
{ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ } أي: مبغض له، مجتنب معاد لأهله، { إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي } فإني أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به، فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، فـ { سَيَهْدِينِ } لما يصلح ديني وآخرتي.
{ وَجَعَلَهَا } أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة للّه وحده، والتبرِّي من عبادة ما سواه.
{ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ } أي: ذريته { لَعَلَّهُمْ } إليها { يَرْجِعُونَ } لشهرتها عنه، وتوصيته لذريته، وتوصية بعض بنيه -كإسحاق ويعقوب- لبعض، كما قال تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ } إلى آخر الآيات.ا هـ
وصلي الله علي محمد وعلي آله وصحبه وسلم
وآخرُ دَعْوَانا أنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

---

(15) - شرح العقيدة الطحاوية صـ 259 .
(2)- ومن هذا يتبين بطلان قول من قال أن الإسلام هو مجرد النطق بالكلمة .
(37) - شرح العقيدة الطحاويةصـ 334-335.
(1)- جامع العلوم والحكم . الحديث .
(2)- شرح الطحاوية صـ 357\ 358 ط المكتب الإسلامي .
(3)- السابق 260 .
(4)- جامع العلوم والحكم . الحديث .

**(1)– شرح الطحاوية صـــ 356 .**
**(2)– يراجع كتاب الصلاة لابن القيم وشرح الطحاوية صـــ 340 .**